

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

عنوان المذكرة

الذرية المنطقية عند برتراند راسل

مذكرة مكملة من مقتضيات نيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص: فلسفة عامة

إشراف الأستاذ

إعداد الطالبة

د/ لصقع الربيع

- بن الصغير آية حواء

السنة الدراسية: 2026/2025

وثيقة ايداع مذكرة ماستر

الموضوع: الجزيرة الكسطينية عند بن بوزيد زاسل

إعداد الطالب (ة):

1 - بن بوزيد زاسل رقم التسجيل:

القسم: الفلسفة الشعبة: الفلسفة التخصص: فلسفة عامة

إشراف: د. البشير الربيع الرتبة: أستاذ مساعد

أقر بأنني تابعت العمل المذكور أعلاه في جلسات إشرافية طيلة الموسم الجامعي: 2025-2026 وأسمح بإيداعه على مستوى إدارة القسم للمناقشة والتقييم.

رئيس فريق الاختصاص

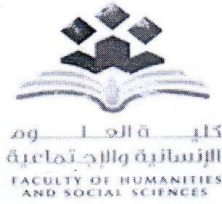
موافقة وإمضاء الاستاذ(ة) المشرف(ة):

رئيس القسم



د. الرئيس علي

بالكواليفعة

الكلية الإنسانية والاجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES
AND SOCIAL SCIENCES

Faculty of Humanities and Social Sciences
Vice-Deanship of the College for Studies and
Student Issues

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
University Mohamed Boudiaf of M'sila



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
نيابة العمادة للدراسات والمسائل المرتبطة بالطلبة
الرقم: 2026/

تصريح شرفي خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي (ة) أدناه :

السيد(ة): بن الصعير آية حواء

الصفة (طالب، استاذ باحث، باحث دائم): طالبة

الحامل لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 95 10424

الصادرة بتاريخ: 2023، 08، 30 عن دائرة: المسيلة

المسجل(ة) بكلية: العلوم الاجتماعية والإدارة قسم: قسم الفلسفة

تخصص: فلسفة عامة تحت رقم التسجيل: 2021-35079940

والمكلف بإنجاز أعمال بحث (مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)

عنوانها: الذرية المنطقيّة عند برتراند راسل

أصرح بشرفي بأنني التزم بالمعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية

المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه

المسيلة في: 24 جوان 2026

ف.م.س.

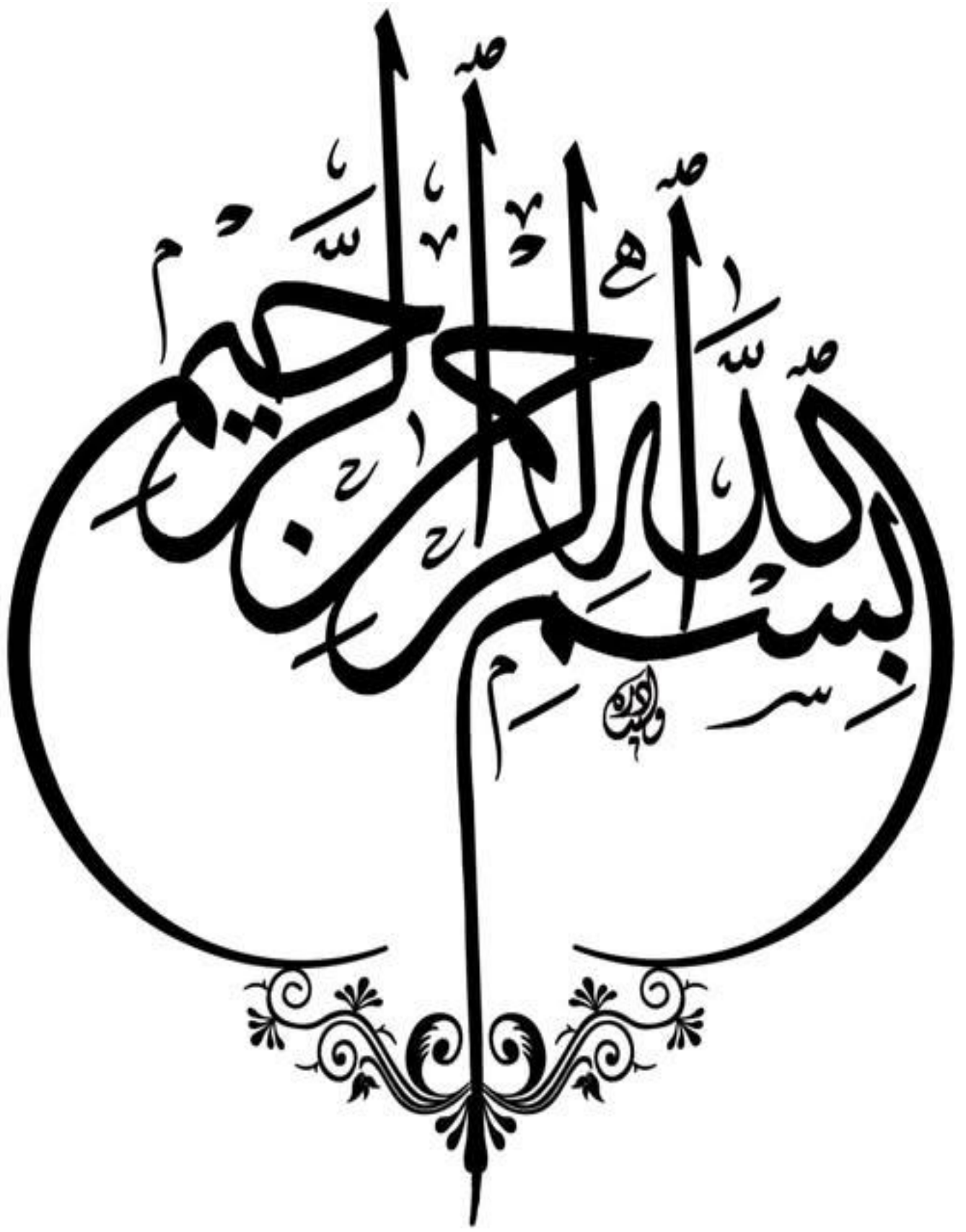


امضاء المعني (ة):



أشكر من الله المولى
بشكري صابري

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 2016-07-28 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها.



إهداء

إلى من حملت اسمي في الدنيا، ورفعا رأسي بالفخر إلى السماء...
إلى نبع الحنان الذي لا ينضب، إلى قلبي الكبير أُمي الغالية.
إلى السند والعون، إلى من علمني معنى العطاء بلا حدود، إلى والدي العزيز.
كل كلمة شكر تعجز عن رد جميلكما، وكل دعوة لا تفي حقكما.
هذا العمل المتواضع... ثمرة دعواتكما وتعبكما، فتقبله مني بهدية عرفان وامتنان
وإلى كل من ساندني في هذه الرحلة
وإلى كل المهتمين بالمنطق

شكر وعرفان

الحمد لله أولاً وأخيراً، على أن من علينا بالإيمان والصبر والشجاعة خلال سنوات الدراسة.

إلى مشرفي الفاضل/أستاذي الكريم الدكتور لصقع الربيع، الذي لم يبخل عليّ بالنصح والتوجيه، فله مني جزيل الشكر والتقدير.

إلى أستاذ المنطق "الدكتور أحمد حسن" على ما غرسه في من حب للمنطق إلى أساتذتي الكرام، الذين كانوا لي منارة للعلم والمعرفة.

إلى زملائي وأصدقائي، رفقاء الدرب، الذين شاركوني التعب والأمل.

إلى كل من مد يد العون بكلمة، أو نصيحة، أو دعوة صادقة في ظهر الغيب. شكراً من القلب... فهذا الإنجاز لم يكن ليرى النور لولا أتم.

مقدمتہ

مقدمة:

شهد تاريخ الفكر الفلسفي عبر عصوره المختلفة تنوعاً كبيراً في المناهج والغايات؛ وبينما اتجهت العديد من التيارات الفلسفية التقليدية - لا سيما العقلانية منها - نحو بناء أنساق ميتافيزيقية شاملة تسعى لتفسير الوجود والمطلق واضعة التأمل العقلي والحدس أساساً لها، واجهت هذه الطموحات النسقية مواقف نقدية حادة نتيجة ما خلفته من صراعات واختلافات وتناقضات لا يمكن الحكم عليها بأساس تجريبي أو حكم منطقي نهائي. ومع مطلع القرن العشرين، وتزامناً مع الثورات العلمية والرياضية الكبرى، شهدت الفلسفة تحولات جذرية وعميقة مسّت المعرفة وآليات إنتاجها؛ حيث ظهرت حاجة ملحة للتخلي عن التوجهات النسقية المتعالية بعد عجز الفلسفات السابقة القائمة على الميتافيزيقا ووصولها إلى طريق مسدود.

ومن هنا ظهرت محاولات برتراند راسل 1872-1970م في تقديم تصور جديد منهجي للكشف عن العناصر الأولية للقضايا المركبة وما يعرف بالذرية المنطقية، وينطلق راسل من افتراض أن اللغة الطبيعية المستعملة في الحياة اليومية للتعبير عن مشاعرنا وأفكارنا لا يمكن الاعتماد عليها لوصف البنية المنطقية الكامنة وراء الأفكار، أي أنه أراد أن يتجاوز الغموض اللغوي باستخدام منهج لتحليل بهدف الوصول إلى صيغ رمزية واضحة يمكننا التحقق من صدقها أو كذبها انطلاقاً من الواقع الحسي وبعد محاولاته في تقديم مشروع رد الرياضيات إلى أصول وأسس منطقية راح يربط بين ما هو حسي تجريبي وما هو منطقي رمزي لوصف بنية العالم بدقة ويتمثل هذا الربط عنده على فكرة أن الجمل التي نتناولها في الحياة اليومية هي عبارة على قضايا تتكون من عناصر بسيطة أولية وأنه من خلال تحليلنا لهذه العناصر نصل إلى الذرات المنطقية فلا نكتفي هنا بالظاهر بل إلى محاولة تفكيك القضية المركبة باستخدام رموز منطقية وفق قواعد المنطق الرمزي.

والإشكالية التي يمكن طرحها هنا هي:

إلى أي مدى نجح برتراند راسل في ربط التجربة الحسية بالمنطق الرمزي والرياضيات بهدف وصف بنية الواقع وصفاً دقيقاً، وكيف طبق منهجه المنطقي على مجالات مختلفة مثل الأخلاق والدين؟

من أجل الإجابة على هذه الإشكالية ارتأينا عرض بحثنا وتقسيمه وفق الخطة التالية:

مقدمة مهدنا لموضوع البحث المتمثل في تقديم دراسة حول موضوع التجربة المنطقية عند راسل في محاولات الجمع بين المنطق الرمزي والتجربة أو بين منهج التحليل المنطقي والمنهج التجريبي من خلال قواعد وعلاقات ثم طرحنا إشكالية البحث. بينما متن البحث فقد قسمناه إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المرجعيات الفكرية والمنطقية والفلسفية: وتم تقسيم الفصل إلى ثلاثة مباحث.

كل مبحث إلى ثلاثة مطالب بحيث يخصص هذا الفصل لوصف الخلفية الفكرية والأكاديمية التي مهدت لظهور مشروع راسل المنطقي، نبدأ بدراسة تأثير البيئة العائلية والتربوية عليه، ثم ننتقل إلى مرحلة دراسته في كامبريدج واحتكاكه بفلاسفة ورياضيين مثل ج.إ. مور وألفرد وايتهيد، كما نتناول تحوله من النزعة المثالية المبكرة إلى التوجه التحليلي الذي ركز على اللغة والمنطق، الهدف هو تتبع المسار الذي قاد راسل من الاهتمام بالميتافيزيقا التقليدية إلى الانشغال ببناء منهج يعتمد المنطق الرمزي والرياضيات كأدوات أساسية لفهم بنية الواقع وعلاقته باللغة.

الفصل الثاني: الأبعاد المنهجية والصورية للممارسة المنطقية: يركز هذا الفصل على

تحليل الأدوات والآليات المنهجية التي اقترحها راسل لتنفيذ فكرة التجربة المنطقية من خلال الأدوات التي اقترحها راسل والانتقال من المنطق الكلاسيكي إلى المنطق الرمزي الذي يحتمل قيمتين ونربط هذه الفكرة بعلاقة الدلالة واللغة كما نوضح كيف حاول راسل من خلال هذه الأدوات الربط بين معطيات التجربة الحسية الأولية وبين البناء الصوري الرياضي بهدف الوصول إلى وصف العالم بخلو من الالتباس اللغوي وأخيرا محاولة تقديم مفهوم التحليل المنطقي.

الفصل الثالث: "الامتدادات التطبيقية للمنهج المنطقي من خلال استبعاد الميتافيزيقا.

يخصص هذا الفصل لتطبيق منهج التحليل المنطقي على القضايا الدينية والأخلاقية والتصوفية من خلال استبعاد الميتافيزيقا وكل ما يقع ضمنها، ونتيجة لذلك تم تأسيس الفلسفة العلمية بحيث تعامل راسل مع هذا النوع من القضايا لم يكن عاطفي بل تعامل معها كنمط لغوي يحتاج إلى تحليل. وفي

سبيل التفصيل في هذه العناصر التي انطوت عليها هذه الفصول اعتمدنا على المنهج التحليلي الذي تقصينا من خلاله أفكار برتراند راسل حيث حاولنا من خلاله فهم نصوصه وتحليلها وكذا موقفه من أهم القضايا التي أسس فيما بعد لفلسفته العلمية.

كما استعنا بالمنهج التركيبي باعتباره المرحلة المنهجية اللاحقة للمنهج التحليلي ومكملة له في بناء الفهم الكلي لمشروع راسل، فبعد أن قام المنهج التحليلي بتفكيك أفكار برتراند راسل ومفاهيمه الأساسية إلى عناصرها الأولية وذراتها المنطقية في الفصل الثاني جاء دور المنهج التركيبي لجمع هذه العناصر وربطها ببعضها وفق بيئة متماسكة تعكس رؤية راسل الشاملة.

وقد تجلّى استخدام هذا المنهج بشكل واضح عند محاولة الجمع بين مفهومي " المنطق " و"التجربة" في بناء راسل الفلسفي. فالتحليل كشف لنا أن راسل فك المعرفة إلى مكوناتها المنطقية الصورية من جهة، والمكونات الحسية التجريبية كم جهة أخرى. أما التركيب فقد مكننا من بيان كيف أعاد راسل تركيب هذين المكونين في مشروعه "التجربة المنطقية".

استعنا بالمنهج التاريخي في الفصل الأول لأجل تتبع المسار التكويني لتشكل أفكار راسل عبر مراحل مختلفة من حياته بدءا من البيئة، العائلة المحافظة على التعاليم المسيحية وصولا إلى احتكاكه مع جملة من الفلاسفة وعلماء المنطق خلال دراسته في كامبريدج، كما قمنّا ختاماً محاولة على أهم المشكلات المطروحة.

أما بالنسبة لأسباب اختيار الموضوع تتمثل في:

أولا: الأسباب الموضوعية:

أرى أن منهج راسل التحليلي في تفكيك القضايا اللغوية المركبة إلى قضايا أولية يمكن الاستفادة منه في معالجة بعض الإشكالات المطروحة في الواقع وفي الحياة اليومية، خاصة فيما يتعلق بالغموض الدلالي والمغالطات اللغوية لذلك فالدراسة ليست تاريخية فقط بل لها أهمية تطبيقية أيضا.

ثانيا: الأسباب الذاتية:

تتمثل في اهتمامي الشديد بالمجال المنطقي عامة وبإعجابي بالفيلسوف راسل. كما أن شغفي بالفلسفة التحليلية دفعني إلى البحث في موضوع تحليل اللغة والمعنى والميتافيزيقا.

أما الصعوبات التي واجهتني أثناء البحث فهي متعددة أولها صعوبة البحث في عمق فكر برتراند راسل "التجربة المنطقية" وفلاسفة آخرين ارتبط بهم برتراند راسل كفيتغنشتاين وأعضاء حلقة فيينا غير أن هذا الاتساع كاد يخرج بدراستي عن إطارها المحدد وعنوانها الرئيسي مما اضطرني إلى ضبط نطاق البحث والالتزام بمنهج راسل تحديدا.

عانيت أيضا من تردد علمي عند محاولتي تحليل نصوص راسل مباشرة من مصادرها الأصلية. فكلما حاولت استنباط فكرة أو تفسير فقرة انتابتي حالة من عدم الثقة في دقة فهمي أو سلامة استنتاجي. واجهتني صعوبة خاصة تتعلق بالرموز المنطقية الصورية التي استخدمها راسل في كتابه "مبادئ الرياضيات" وقد تخلصت من هذه الصعوبة بالعودة المتكررة إلى النص، وكذلك محاولة قراءة الأفكار الموجودة في المرجع ومقارنتها بما قدمت من تحليل أولي للمصدر.

إن هذه الصعوبات لم تقف حائلا أمام إتمام عملي وإنجاز مذكرتي فبفضل مثابرتي ودعم مشرفي وتشجيع والدي حفظهما الله وفقت في انهاء العمل على النحو الذي ترونها.

أما أهم المصادر والدراسات التي ساعدتني في انجاز مذكرتي فيمكن ذكر دراسات المنجزة من قبل بعض المهتمين بالفكر المنطقي عند برتراند راسل أمثال:

- بلبولة، مصطفى برتراند راسل واللغة الكاملة منطقيا.
- جعيداني، نصيرة. نظرية الصدق والمعنى في فلسفة برتراند راسل.
- خليل، شريف حسني الفلسفة التحليلية وبنية التحليل المنطقي "راسل نموذجا".
- سعيداني فروجة. الذرية المنطقية والتحليل عند برتراند راسل.

أما المصادر والمراجع فهي عديدة ومتنوعة نذكر منها عل سبيل المثال لا الحصر:

- راسل، برتراند سيرتي الذاتية (ترجمة: عبد الله عبد الحافظ وآخرون). الطبعة الأولى، دار المعارف.

- راسل، برتراند فلسفة الذرة المنطقية (ترجمة: ماهر عبد القادر محمد). دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

- راسل، برتراند. (بدون تاريخ). معرفتنا بالعالم الخارجي (ترجمة: علي مولى).

أما بالنسبة للكتب التي استعنت بها في انجاز هذا العمل فيمكن ذكر:

- روبير بلاشي: المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ت: خليل أحمد خليل.

- سعيد بنتاجر: مدخل إلى علم المنطق، مراجعة الطيب بوعزة.

آفاق البحث، ما نلاحظه في الدراسات المنجزة في مذكرات الماستر بصفة خاصة هو قلة الخوض في المسائل المتعلقة بالمنطق بشقيه الصوري والرمزي وحتى الأشكال الأخرى للمنطق سواء أكان ثنائي القيمة أو متعدد القيم ولعل هذا العمل المنجز حول المفكر المنطقي والرياضي برتراند راسل يكون فاتحة لدراسات مستقبلية في هذا الشأن.

وفي الأخير نأمل أن يكون هذا الموضوع جديرا بالمناقشة والاهتمام والتقييم.

الفصل الأول

المرجعيات الفكرية لبرتراند راسل

I. مصادر فكر راسل.

1. أثر البيئة العائلية في تكوين راسل.

2. الدراسة الجامعية في كامبريدج.

3. النزعة الأخلاقية والحرية الدينية.

II. المرجعيات الفكرية والمنطقية.

1. الفلاسفة الذين تأثروهم.

2. في مجال المنطق.

3. في مجال الرياضيات واللغة الرمزية.

III. المرجعيات المنهجية والبعد المنطقي.

1. نقد المثالية ونشأة التحليل.

2. أثر المنهج الاستنباطي لدى "ليبنتز".

3. أثر النزعة التجريبية.

يمثل الفيلسوف والمفكر البريطاني برتراند آرثر وليام راسل (1872-1970م) شخصية فكرية محورية في مسيرة الفلسفة الغربية الحديثة، بما حمله من مشروع فلسفي طموح أسهم في تأسيس أحد أهم التيارات الفكرية في القرن العشرين، ألا وهو المذهب التحليلي (Analytic Philosophy)

وإذا قيل: "إن حياة الفيلسوف هي فلسفة في حد ذاتها"، وبالحديث عن برتراندراسل نجد أن حياته مرتبطة إلى حد كبير في تشكيل أفكاره، لذلك يعد البحث في المرجعيات الفكرية لديه مدخلاً أساسياً لفهم بنية التفكير الفلسفي والمنطقي، وبطبيعة الحال أن فكر راسل لم ينبثق من الفراغ بل كان نتيجة امتزاج كل من الموروث العائلي والتكوين الأكاديمي في كامبريدج،

فلم يكن راسل مجرد فيلسوف تقليدي يشتغل على قضايا الميتافيزيقا والماهيات، بل كان مفكراً متعدد الأبعاد، شملت اهتماماته الفلسفة، الرياضيات، المنطق، نظرية المعرفة، الأخلاق، السياسة، والإصلاح الاجتماعي، مما جعل منه فيلسوفاً استثنائياً تتشابك في فكره خيوط متعددة من المرجعيات الفكرية، شكلت في مجملها نسيجاً معقداً وثرياً لا يمكن فهمه بمعزل عن السياقات الفكرية والتاريخية التي نشأ وتشكل فيها.

لعل ما يثير الانتباه في مسيرة راسل الفكرية هو ذلك المسار التطوري الحاد الذي انتقل خلاله من الإيمان بـ المثالية الهيغلية (Hegelia Idealism) في بداياته الأكاديمية إلى التمرد عليها ونبذها جذرياً، ليؤسس بذلك لـ "الثورة البريطانية ضد المثالية (British revolt against idealism)" التي قادها مع صديقه الفيلسوف جورج إدوارد مور (G.E. Moore) في مطلع القرن العشرين.

هذا التحول الجذري في فكر راسل لم يكن مجرد قطيعة سطحية مع مدرسة فكرية معينة، بل كان أزمة منهجية شاملة كشفت عن تحولات عميقة في نظريته للفلسفة والواقع والمعرفة، دفعته إلى البحث عن أرضية فكرية جديدة، أكثر رسوخاً وقدرة على تقديم إجابات عن أسئلة الفلسفة الكبرى، بعيداً عن "غموض" و"تعقيد" الفلسفة المثالية.

وسنعمل في هذا الفصل على تتبع الجذور الأولى لفكره بدءاً من البيئة العائلية ثم نشأة الفكر التحرري وصولاً إلى المرجعيات المنطقية والفلسفية.

I. مصادر فكر راسل:

1. أثر البيئة العائلية في تكوين راسل:

ولد برتراند راسل¹ في عائلة أرستقراطية إنجليزية شهيرة كان لها نفوذ سياسي واضح ويتجلى ذلك فيما قدمه جده لأبيه اللورد جون راسل من إصلاحات ديموقراطية في بريطانيا بصفته رئيساً للوزراء، وكان جد راسل للأمه اللورد شانلي أوف ألديرلي من الحلفاء السياسيين للورد جون، كان لوالدي راسل آراء حديثة غير عادية بالنسبة لذلك الزمن تتمثل في أنهم منفتحين فكرياً.² يروي راسل بأنه فقد والدته وهو في الثانية من عمره ثم والد بعد ذلك. فترعرع في بيت جده اللورد جو نراسل دون أن يعرف والديه معرفة مباشرة، ولم يأتَهُ أحد بنبأ عن والديه حتى شعر بأن في الأمر لغزاً غامضاً مما دعاه ذلك بأن يبحث في حياتهما بنفسه وما كان لهما من رأي، عبر راسل عن دهشته حول مدى التشابه بينه وبين والديه في تطور حياته الفكرية ومشاعره.³

إن وفاة والديه والانتقال للعيش مع جده كان له أثر كبير عليه، بحيث أدى ذلك إلى غياب دورهما النسبي في حياته وفتح المجال لجذته لكي تكون من أكثر الشخصيات تأثيراً وحضوراً. لذلك لا يمكننا أن نتجاوز هذا التأثير الحاسم، الأمر الذي يدفعنا إلى دراسة عقليتها وطبيعتها سيطرتها على طفولته بحيث أن لها الفضل الكبير في تشكيله الأولي من خلال محاولة

¹ برتراند راسل: (1872_1970م) أحد أبرز فلاسفة التحليل في القرن العشرين كما يعد من بين مؤسسي الفلسفة الواقعية التحليلية إلى جانب جورج إدوارد مور، تتمثل أهم أعماله في المنطق والفلسفة الرياضية، ينسب إليه أكثر من أي شخص آخر الفضل في ابتكار وتطوير منطق العلاقات الحديث، الذي يعد أعظم تقدم في المنطق منذ أرسطو، ثم استخدم هذا المنطق الجديد كأساس لفلسفته الرياضية باسم المنطقانية.

² إيه سي جرايلينج: برتراند راسل مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: إيمان الدين فرماوي، ط1، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ص10.

³ مصطفى مصطفى غالب: برتراند راسل، (د. ط)، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1986، ص09.

تربيته في بيئة يسودها الانضباط الشديد والحراسة الدينية، يقول راسل: "كانت من أهم الأشخاص بالنسبة لي في طفولتي".¹

يذكر راسل عنها "بأنها كانت اسكتلندية الأصل، تعتنق المذهب الكنسي المسيحي كما كانت ليبرالية في معتقداتها السياسية والدينية ثم أصبحت تؤمن بالوحدانية في سن السبعين، غير أنها كانت غاية في الصرامة في كل ما يتعلق بالأخلاق"،² وكانت هذه الصرامة نتيجة تأثرها بالعصر الفيكتوري، كما أنها امرأة مثقفة لأبعد الحدود تتقن اللغة الفرنسية والألمانية والإيطالية كما كانت مهتمة بالتاريخ الإنجليزي بتعمق، ولكن بالرغم من انفتاحها الشديد إلى دراسة اللغة والأدب والتاريخ إلا أنها لم تكن تطبق ذلك على حياتها الشخصية مما جعل منها شخصاً صارماً مقيداً بالقوانين الدينية، وحسب برتراند راسل أن جدته أرادت لأولادها وأحفادها أن يعيشوا حياة فاضلة خالية من الشر، "أهدت إلي جدتي إنجيلا كتبا على الورقة التالية لغلافه بعض ما أحببت من آياته، فمنهما هذه الآية: {لا يجوز لك أن تتبع كثرة الناس في فعل الشر}، وهذه الآية: {كن قوياً شجاعاً فاضلاً، لا تخف ويأخذك اليأس، فربك المولى في رعايتك أينما ذهبت}، فكان لهاتين الآيتين أثراً عميقاً في حياتي، ولا أحسب ذلك الأثر قد أصابه الوهن حتى بعد أن أمسكت في الاعتقاد بالله"،³ بالرغم من الاختلاف الديني بين راسل و جدته إلا أن تأثيرها بقي متواصلاً حتى مراحل متأخرة في حياته.

إن نشأة برتراند راسل الصارمة على يدي جدته، خلقت لديه شعوراً عميقاً بالعزلة، مما دفعه ذلك للبحث الحر عن المعرفة وأول ما قام به هو التمرد على المعتقدات التقليدية وتبنيه لمواقف إلحادية أو لا أدرية، تدعو أساساً للحرية الدينية وهذا ما كانت تمقته جدته وبشدة، السبب الذي جعلها تخفي وصايا أبيه عليه، يقول: "كنت أشعر ببعض الحزن لأنني أذكر أنني كنت أتمنى لو أن والدي كانا على قيد الحياة، ولقد عبرت ذات مرة عن شعوري هذا لجدتي،

¹ برتراند راسل: سيرتي الذاتية، ترجمة: عبد الله عبد الحافظ وآخرون، الطبعة الأولى، دار المعارف، 1914، ص19.

² المصدر نفسه، ص19.

³ مصطفى غالب، برتراند راسل، مرجع سابق، ص14.

فقالت لي أنه من حسني حظي أنهما ماتا، ولقد تركت ملاحظتها هذه أثراً سيئاً في نفسي¹. وفي اعتقادي أن رد جدته هذا لم يكن مجرد عبثاً بل إنها تخفي سرّاً أو أمراً يخص والديه، ويتعلق أساساً بإيمانها بحرية التفكير وخاصة المعتقد الديني لأن والده قد كفر بالمسيحية، وكان تلميذاً وصديقاً لـ **جونستيوارتميل** والذي بنفسه تأثر به، وعلم فيما بعد بأن كان له تأثيراً كبيراً على أمه وأبيه وفي كثير من آرائه، ولم يتوقف هذا التأثير في آرائه السطحية فقط بل تجاوزها إلى الآراء التي كانت لا تلقي قبولاً عند الناس من أهمها حق المرأة في الانتخاب وغيرها². بالرغم من أن **برتراند راسل** لم يلتقي مباشرة بوالديه ولم يتعرف على أفكارهم إلا في مرحلة متأخرة، فيما بعد توصل إلى وجود تشابه كبير بينهم، "أراد لي أبي أن أنشأ في الفكر حرّاً من القيود وكذلك أراد لأخي فأقام علينا، وصيين عرفا بحرية التفكير، لكن جدي وجدتي معاً سعيًا لدى المحكمة المختصة إن تغض النظر عن وصية أبيه فكان نصيبي أن أنشأ في العقيدة المسيحية، كذلك إني انتقلت بعد موت أبي إلى منزل جدي، وكان ذلك عام 1876م³. و كان نتيجة هذه النشأة أن يجعلانه يؤمن بالمسيحية رغماً عنه، مما جعلته يميل نحو التمرد الفكري وساهمت في تشكيل شخصيته المدافعة عن حرية التعبير، و كان مناهضاً ضد القيود الدينية والاجتماعية المتشددة، ويمكن اعتبار آراءه حول الدين وحرية التفكير كرد فعل على ما عاشه في طفولته.

أما في مرحلة المراهقة إذا ما قارناها بمرحلة الطفولة فستبدو لنا أكثر شقاء ومعاناة بين راسل وأفكاره الداخلية خاصة في موضوع الجنس، باعتبار أنه من المواضيع الحساسة التي لا يمكننا الحديث عنها أمام العائلة مثلاً، و بالعودة إلى النظام العائلي لراسل نستنتج أنه كان مقيد لا يمكنه البوح بالكثير من آراءه حول هذه المواضيع بالإضافة إلى مواضيع أخرى مثل الدين، "كانت سنوات المراهقة بالنسبة لي يملأها الإحساس بالوحدة والشقاء، وكنت مضطراً

¹ برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص 38.

² مصطفى غالب: برتراند راسل، مرجع سابق، ص 12.

³ المرجع نفسه، ص 12_13.

في حياتي العاطفية والعقلية إلى التذرع بالكتمان عن الناس، و كانت اهتماماتي موزعة بين الجنس والدين والرياضيات، وذكرياتي فيما يتعلق بموضوع الجنس، إذ ذلك يشوبها شعور من عدم الارتياح¹، وهذا بسبب أنه لم يكن بوسعه الإفصاح على ما كان يفكر فيه.

وكان قد عاش حياة معتزة نوعاً ما بحيث أنه نشأ في منزل له قوانينه الخاصة على أيدي مربيات ألمانيات وسويسريات ثم انتقل إلى مربيين من الإنجليز، أي انه لم يخالط الأطفال في عمره إلا قليلاً، وهذه الحياة جعلته لا يكثرث لأمرهم وإن خالطهم، حتى بلغ العام الرابع عشر، انتقل اهتمامه للدين وخاصة فيما يتعلق بحرية إرادة الإنسان وخلوده وعلى وجود الله. لذلك راح يقرأ مفكراً في البراهين التي تقام على ذلك.

مما ساعده أستاذ متشكل وكان قد أشرف على تربيته لبضع أشهر، أي أنه وجد فرصة لشخص ما ليحاوره في مثل هذه المسائل، ولكن سرعان ما طرد من عمله، بتهمة أنه ساهم في هدم الأساس الديني، إذا ما استثنينا الأشهر التي قضاها راسل مع هذا الأستاذ سنجد بأنه كان يحتفظ بفكره لنفسه، وكانت الطريقة التي يحتفظ بها أفكاره هي من خلال كتابتها بأحرف يونانية حتى لا يفهمها أحد، هذا ما يراه راسل شقاء لما يمكن أن يعانيه مراهق معتزل عن الناس، وكان يعتقد أن هذا الشقاء بسبب فقدانه لإيمانه الديني².

"كنت أقرأ بشراهة وعلمت نفسي وقرأت من اللغة الإيطالية لقراءة الشاعر داني صاحب القومية الإلهية، والمفكر السياسي ميكافيلي صاحب الأمير، كما قرأت للفيلسوف الفرنسي أغوستكونت، وكذلك قرأت للفيلسوف جونستيوارتمل كتابه الاقتصاد السياسي وكتاب المنطق..."، أرجو أن يكون مفهوماً أن تلك الحياة العقلية التي كنت أحياناً لم يفتضح أمرها لأحد ممن كنت أعاشرهم بل ضلت مدفونة في خاطري.

¹ برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص 48.

² مصطفى غالب: برتراند راسل، مرجع سابق، ص 18.

نلاحظ أن هناك تنوعًا هائلًا في قراءته بين الأدب الإيطالي والفكر السياسي أما اهتمامه بالفلسفة والمنطق فيظهر من خلال ذكره لكتاب **"المنطق"**، كما يذكر تأثره بقصة قوم **"ياهو"**، مما جعله ينظر للبشر بنظرة ناقدة ومتشائمة قليلًا، وتكشف لنا أيضًا مراهقته عن الصراع الاجتماعي الذي عاشه لأنه كان يعيش حياة فكرية سرية ولم يطلع أحد عليها خوفًا من العواقب، كما يذكر لنا راسل عن الصراع العقائدي الذي كان يتبعه طيلة فترة المراهقة، **"ولكنني في أثناء تلك الفترة الطويلة من الشكوك الدينية كان ينتابني الشعور بالشقاء والتعاسة لأنني كنت أتخلى تدريجيًا عن عقيدتي، غير أن هذه العملية ما كادت تهتم وتصل إلى قرار حيث وجدت لفرط دهشتي أنني مسرور جدًا لأنني تخلصت من الموضوع برمته"**¹.

إن هذا الصراع الذي عاشه راسل جعله يتحول من حياة الشقاء إلى الحرية من خلال التخلي عن معتقداته الدينية القديمة وبصراحة إن هذا الأمر لم يكن سهلًا في البداية بل كان يصحبه شعورًا بالتعاسة له، لدرجة أنه أصبح يفكر في الانتحار، ويقول: **"لكنني لم أنتحر لأنني كنت تواقًا إلى الاستزادة من الرياضيات"**²، إن حبه الشديد للمعرفة وخاصة العلوم والرياضيات جعلت لحياته معنى ولم يستطع التخلي عنها، لذلك كان الانتحار احتمالًا مرفوضًا بالنسبة له كنوع من الهروب من التعاسة، بمجرد أن اكتملت فكرته حول التخلي عن المسيحية بعد أن اتخذ قرارًا نهائيًا لم يعد يشعر بالندم بل على العكس شعر بفرح جد عظيم.

2. الدراسة الجامعية في كامبريدج:

"كان أبي قد نال تعليمه في كامبريدج، لكن أخي في أكسفورد والتحق أنا بكامبريدج لاهتمامي بالرياضيات، وكانت بداية تجربتي بكامبريدج في ديسمبر 1889م عندما دخلت امتحان القبول للمنح العلمية، أقمت في جناح في الفناء الجديد، وكنت أخجل من أن أستفسر

¹ برتراند راسل، مصدر سابق، ص ص 52_53.

² المصدر نفسه، ص 56.

عن الطريق إلى دورة المياه...كنت أرى خلفيات المباني من خلال بوابة الفناء الجديد لكنني لم أجرؤ على ارتيادها لشعوري أنها ربما كانت أماكن خاصة¹.

تعتبر مرحلة الدراسة في كامبريدج نقطة تحول هامة في حياة الفيلسوف راسل، بحيث أنه سافر إلى كامبريدج وهو شاب منعزل وخجول حاملاً شقاء معاناة منذ طفولته من ضغوطات عائلية وصراعات فكرية نفسية داخلية، وحاملاً أيضاً معه شغفه بالرياضيات معتبراً أنها بمثابة الحب الأول، سافر إلى هناك بحثاً عن اليقين لأن الرياضيات في نظره هي العلم الوحيد الذي يقدم لنا حقائق مطلقة ودقيقة لا يمكننا الشك في صحتها.

"كان ألفريد نورث وايتهيد قد نظر في أوراق إجابة راسل في المنحة الدراسية التي حصل عليها، وأوصى به عدداً من الطلاب والمحاضرين الموهوبين ومن ثم وجد نفسه بين رفاق يشابهونه إلى حد كبير، فلم يعد منعزلاً فكرياً ووجد أخيراً سبيلاً إلى الصداقة، إذ كون صداقات قوامها الاهتمامات المشتركة والمستوى الذهني المتجانس"². على عكس ما كان يعيشه سابقاً، محاطاً بأشخاص يميلون للحديث عن نفس المسائل التي يميل إليها راسل، وقد شعر كأنه في جنة حقيقية.

باعتبار أن هوايته لم يكن مجرد أستاذ، بل كان الأول في اكتشاف تميز راسل وذلك من خلال أوراق امتحان المنحة الدراسية لـ ترينيتي كوليدج، وكانت هذه أولى بداية العلاقة بين عقليين استثنائيين، كما قد ساهمت الدراسة في كامبريدج في تحوله من حياة الانعزال والوحدة الشديدة في منزل جده اللورد جون راسل، والتي كانت تدفعه في مرات عديدة في التفكير في الانتحار، وهذا بسبب أنه لم يجد من يشاركه اهتماماته بالفلسفة والرياضيات وشكوكه الدينية، إلا أن شغفه بالمعرفة الرياضية دائماً ما كان يمنعه من الإقدام على الانتحار كما أعطى لحياته معنى، أما الأصدقاء الآخرين الذين تعرف عليهم راسل في الفصل الدراسي كان مديناً جداً لهوايته في معرفتهم بسبب أنه عرف لاحقاً أن هوايته حرق الدرجات قبل الاجتماع

¹ برتراند راسل، مصدر سابق، ص 86.

² إيه سي جرينغ: مقدمة قصيرة جداً، مرجع سابق، ص 13_14.

لأن طالبًا آخر حصل على درجات أعلى من راسل لكنه رأى أن راسل أحق بهذه المنحة من أي طالب آخر لذلك كان يفضلته ويوصى عليه أكثر من الطلاب الآخرين، كما يذكر راسل أصدقاءه الأقرب إليه وهم **كروميتون** و**ثيودور لويلين ديفينز**، و تحدث عن أولهما أنه كان باحثًا ممتازًا يميل إلى اللامذهبية في الدين وله أعمال كثيرة منها ترجمة جمهورية أفلاطون¹.

إذا فإن العلاقات الاجتماعية التي أقامها راسل لم تكن مجرد علاقات اجتماعية عابرة بل كانت صداقات تقام على أساس معرفي وعقلي، وكان الفضل لدراسته في كامبريدج أولاً، أنها بمثابة الخلاص من الشقاء الذي سببه العزلة الفكرية لذلك اختار "اليقين الرياضي" كنوع من الهروب من آلام الواقع.

"في أول ثلاث سنوات أمضاها راسل هناك، درس الرياضيات وفي السنة الرابعة أصبح منكبًا على دراسة الفلسفة ودرس على يدي **هينري سيد جويك** و**جيمس وارد وجي إف شاورت**، وكان الفيلسوف الذي يعتنق المذهب الهيجلي، **جي إم إي ماك تاجرت** في ذلك الحين مؤثرًا بين الطلاب والمحاضرين الشباب في كامبريدج، وهو الذي حفز راسل على اعتبار الفلسفة التجريبية البريطانية ويمثلها **لوك بيركلي**. **هيوم** و**مل** فلسفة غير مكتملة ... أصبح راسل معجبًا بالفيلسوف المعتنق للمذهب الهيجلي القائم في جامعة أكسفورد²، نتيجة لسيطرة الفلسفة الهيجلية آنذاك تأثر راسل وكان من المعتنقين لها ولكن فيما بعد قد رفض فلسفة هيجل المثالية وخاصة بعد أن قرأ له كتابه **المنطق الأكبر**، "لقد حدثت لي خلال عام 1898م عدة أحداث جعلتني أنفض عن **كانت** وعن **هيجل** في آن واحد معًا، من ذلك أني قرأت كتاب **هيجل المنطق الأكبر** فكان رأيي فيه عندئذ ولا يزال هو رأيي فيه الى اليوم أن كل ما قاله هيجل عن الرياضيات هو كلام فارغ خرج من رأس مهوس"³.

¹ برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص78.

² إيه سي جرالينغ: برتراند راسل، مرجع سابق، ص14.

³ زكي نجيب محمود: برتراند راسل، مرجع سابق، ص18.

يحسب التأثير الكبير على راسل من معاصريه الشباب ل **جي إي مور**، وقد كان في البداية كل من راسل ومور كمتعنتين للهيكلية، ولكن فيما بعد سرعان ما انقلبا عليها تمامًا، والسبب في هذا الرفض أنهما رفضا فكرة التعددية والتغيير، لأن هدف راسل كان أساس في البحث عن بدائل تعتمد على الواقع لا على مجرد حقائق ذهنية، بعد ذلك استطاع راسل في مسيرته الدراسية في كامبريدج أن يحقق نجاحًا باهرًا، من خلال حصوله على المرتبة السابعة في امتحانات **تراي بورز** للرياضيات عام 1893م، ومن ثم استطاع أيضا أن ينال مرتبة الشرف في العلوم الأخلاقية بالتأثير من كانت بدا راسل في كتابه **أطروحة الزمالة في أسس الهندسة**¹، بالرغم من أن راسل استطاع أن ينتقل فكريًا عن محيطه العائلي إلا أن هذا الانتقال لم يكن كاملاً بل ظلت عائلته تسيطر عليه حتى عند بلوغه سن الرشد ويظهر هذا في رفضهم زواج راسل من امرأة أمريكية تدعى **أليس بيرسول سميث**، وهي فتاة أمريكية من طائفة الكويكرز تكبره بخمسة سنوات، كان قد التقاها و هام بها حبًا على الفور سنة 1889م، مع أنها لم تبادله المشاعر إلا بعد ذلك بأربع سنوات، ورأت عائلة راسل أنها غير مناسبة على الإطلاق، وأخبرته أنه يستحسن على أي حال من الأحوال ألا ينجب منها لأن بعض أفراد عائلته كانوا يعانون من الجنون، وبرهنوا على ذلك بالإشارة إلى كل من عمه **ويليام**، وكان مقيمًا في مصحة للمرضى العقلين، وعمته أجاثا².

من هنا نرى تداخل كبير في حياة الفيلسوف بين طموحاته العلمية وما أراد أن يحققه في الرياضيات والفلسفة، وبين التحديات القاسية التي عاشها والتي رسمت مسارًا مغايرًا لحياته رغما عنه حيث كان الخوف من أن يصاب بفقدان السيطرة العقلية هو أيضًا مصاحبًا له طوال حياته، ورأى أن الرياضيات والفلسفة هي الملجأ الوحيد من هذا، لأنه يؤمن بأن المعرفة تعمل كأداة للتحرر.

لم يلتقي برتراند راسل في حياته قبل الذهاب إلى كامبريدج بفلاسفة أمثال **مل**، ولكن ذلك تغير تمامًا بعد التحاقه بكامبريدج، وقد كرس سنواته الثلاثة الأولى في دراسته للرياضيات وحصل على قدرًا لا بأس به من الاطلاع الفلسفي رغم اهتمامه الشديد بالرياضيات وتأثير

¹ إيه سي جرالينغ: مقدمة قصيرة جدًا، مرجع سابق، ص 14.

² المرجع نفسه، ص 15.

أحد زملائه هارولد جوشيم¹ المتأثر بفلسفة برادلي وقد قرأ راسل مجموعة من الكتب المختارة له من طرف جوشيم أحدهما كتاب منطق برادلي والثاني منطق بوزانكت أي ان قراءة راسل لبرادلي كانت أول مرة على يد زميله جوشيم وهذا الحدث كان له تأثير كبير على تطور فلسفة راسل وخاصة في جانبها التحليلي².

"كان تدريس الرياضيات في كمبريدج عندما كنت طالباً لم أخرج بعد تدريساً رديئاً كل الرداءة، وهذا راجع في جانب منه الى نظام الجدارة الذي كان متعباً في امتحان (الترييوس) ذلك النظام الذي ألغي بعد ذلك بفترة ليست بطويلة، وقد كانت ضرورة التمييز الدقيق بين قدرات المتقدمين للامتحان تقتضي إبراز الموازنة بين تناول المشكلات بالقياس إلى دراسة النصوص"³.

وقد كانت هذه الطريقة في التدريس بعيدة كل البعد عن التفكير المنطقي، وكان لها الأثر البالغ على راسل بأن أصبح يرى أن الرياضيات علم منفرد، والدليل على ذلك أنه بعد أن أنهى دراسة ثلاث سنوات وفي العام الرابع بدا في دراسة الفلسفة وكانت هذه بدايته للتأثر بالفلسفة المثالية الألمانية الخاصة بكلا من هيجلو كانت.

3. النزعة الأخلاقية والحرية الدينية:

"تختلف الأخلاق عن العلوم في أن مادتها الأساسية مشاعر، وانفعالات وليست مدركات حسية وينبغي أن يفهم ذلك بمعناه الدقيق أي أن المادة هي المشاعر والانفعالات نفسها وليست واقعة أن لدينا هذه المشاعر والانفعالات فواقعة أنها لدينا حقيقة علمية مثل أي حقيقة علمية أخرى،

¹ هالورد جوشيم: كان زميل راسل في كلية ميليون و تلميذ برادلي وصار صهراً لعم راسل.

² برتراند راسل: فلسفتي كيف تطورت، ترجمة: عبد الرشيد الصادق، مراجعة: زكي نجيب محمود، ط1، 1960، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص48.

³ برتراند راسل: فلسفتي كيف تطورت، مصدر سابق: ص39.

ونحن نعرف وجودها بواسطة الإدراك الحسي بالطريقة المعتادة، ولكن الحكم الأخلاقي لا يقرر واقعة، بل أنه يقرر أملا في شيء ما أو خوفا منه، أو رغبة في شيء ما أو عزوفا عنه¹.

يكن جوهر الأخلاق في كون أن الانفعال والمشاعر ما هي إلا مواد أساسية أولية وهناك اختلاف جوهري بين الأخلاق والعلوم في طريقة إدراكنا لها، فبينما تدرس العلوم حقائق مادية عبر مدركات حسية، تدرس الأخلاق حقائق واقعية أيضا تتمثل في المشاعر، لكننا لا نعرف هذه المشاعر عن طريق الحواس الخمسة التقليدية كما نعرف الوقائع العلمية، كما تكمن وظيفة الحكم الأخلاقي في التعبير عن مواقفنا الوجدانية ومخاوفنا، وليس مجرد وصف للواقع. حيث ربط راسل موضوع الأخلاق بسعادة الإنسان، "بدا لراسل أن الكرامة التي يمكن أن تبلغها الحياة الإنسانية لا يمكن بلوغها بـ التعافي في الحياة". وأنه ما لم يصاب التأمل في الأمور الأبدية فإن البشرية ستصبح لا تختلف عن الخنازير المسمنة، ومع ذلك لم يعتقد راسل أن هذا التأمل يؤدي في مجمله إلى السعادة، فكما يقول: "إنه يمنح لحظات من البهجة، لكنها تتضاءل أمام سنوات من الجهد والاكتئاب"²، تبين لنا هذه المقولة فكرة راسل عن البهجة، وتجاوزه لها للحديث عن الجانب الإنساني والنفسي للبشرية، بحيث أن الإنسان ليس مجرد آلة وسيصبح بلوغ السعادة من خلال الاكتفاء الاقتصادي والسياسي أي عبر الجانب المادي، لا يجب أن نلغي الجانب الروحي للإنسان ألا وهو التأمل في الأمور الأبدية والانشغال بالفلسفة والفن، وسعي الإنسان نحو البحث عن الحقيقة، لذلك يجب أن نوازن بين الجانب الروحي والمادي وألا يغلب جانب على جانب آخر، فطغيان المادة على التفكير والتأمل يحول الإنسان إلى خنزير يعيش رفاهية جسدية فارغ من الروح والعقل، بالمقابل إن البحث في أسرار الكون ووجود الإنسان والسعي نحو الحقيقة يمنح الشعور باللذة أو السعادة للحظة، مقابل سنوات عديدة من الشقاء

¹ برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، ترجمة: عبد الكريم أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية للطبع والنشر، القاهرة، (ب.ط)، ب.س، ص17.

² Ramedra ath. Bertrad Russell: Iteret ecyclopedia of philosophy ، (d)، accessed : April، 3/2026 ، from : <https://iep.utm.edu>

والجهد إلا أن الشقاء يعطي معنى للوجود. لأنه ينقلنا من مجرد آلات تعيش بهدف تحقيق الرغبات المادية إلى مخلوقات تسعى للوصول إلى السمو الإنساني.

أي أن البحث في أسرار الكون والتأمل فيه يحررنا من سيطرة أهواءنا ورغباتنا الجسدية، والإنسان السعيد حسب برتراند راسل هو من يستطيع أن يعيش حياة متوازنة بين هذه القوى، كما أن قيمة الإنسان لا تتوقف على ما يملك بل تكمن قيمته على تجاوز الحاجات المادية بالإضافة إلى أن الإنسان المتأمل في أسرار الكون يكون متألماً ولكنه أفض بكثير من أن يكون مجرد خنزير مسمن.

يرى برتراند راسل أن ضرورة وجود الإنسان داخل الجماعة تقتضي وجود أخلاق يتبعها تساعده في بناء العلاقات بينه وبين الغير، ولا يمكنه أن يكون غير ذلك دون هذه القواعد الأخلاقية، هذا هو الفرق الجوهرى بين الذات البشرية وبين الكائنات الأخرى، بحيث أعطى راسل مثلاً عن العلاقات الموجودة في عالم النحل والنمل باعتبار أنها كائنات غرائزية تملك في تعاملاتها سلوكاً آلياً، إذ هي ليست بحاجة إلى وجود قواعد أخلاقية، وتحدث أيضاً عن وجود اختلاف جوهري في مسألة الفردانية والجماعة، بينما يحتاج الإنسان إلى التوازن بين الامتثال الاجتماعي وحبه في الانفصال كفرد مما يخلق لديه محاولات في الإبداع والتميز عن الجماعة، وامتثال الفرد للجماعة والذوبان فيها بصفة كاملة يخلق لديه الشعور بالتغرب¹.

"ينبغي لنا أن نسلم بأن ثمة عنصرين متميزين في الكائن الإنساني عنصر الفردية وعنصر الجماعة، فالأخلاق التي لا تعبأ بأحد هذين العنصرين أو الآخر ستأتي أخلاقاً بتراء لا تغني ولا ترضي، إلا أن حاجة الإنسان إلى الأخلاق لا تنشأ فقط من افتقاره إلى نزعة تامة إلى التجمع، أو من فشله في أن يعيش وحيداً في رؤيته الخاصة، بل تنشأ أيضاً من اختلاف جذري بين الإنسان وبين سائر أنواع الحيوان"²، لا يمكن للنظام الأخلاقي أن ينجح إذا اعتمد

¹ كامل محمد عويضة: برتراند راسل: فيلسوف الأخلاق والسياسة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص 22.

² المرجع نفسه، ص23.

على جانب الفردانية على حساب الجماعة كذلك إذا امتثل امتثالاً كلياً للجماعة على حساب النزعة الفردانية، وهذا ما سماه لنا بالأخلاق البتراء، أي الناقصة، أما الأخلاق الحقيقية هي مركب بين المصلحة الفردية والرغبة في التحرر وبين ضرورة الوجود داخل المجتمع والتفاعل معه، كما أن عدم قدرة الإنسان في أن يعيش وحيداً جعلت الأخلاق تكون بمثابة وسيلة للبلوغ غاية كبرى هي السعادة.

"إن الفضيلة الأخلاقية لا تحمي صالح الفرد فقط بل إنها وجدت لمصلحة الجمع من الناس، وإن هي وجدت من أجل مجموع الناس، فالقصد من ذلك هو إحداث أثر نفعي أخلاقي على واقعهم وفكرهم، وعموم السعادة وانتشارها مقرون بانتشار الفضائل في فضاء المجتمع الذي هو عقل الامتثال للفكر الأخلاقي الفلسفي"¹.

إن وجود القيم النبيلة في المجتمع ساهمت في دفع الإنسان نحو ممارسة الأفعال الخيرة، أي أن رغبة الإنسان في فعل الخير محكومة بالعقل، تهدف إلى تقليل معاناة الإنسان، وبالتالي فإننا لسنا بحاجة إلى وجود قانون ديني إلهي يحكمنا لكي نصبح أخلاقيين، ينتقل من فكرة الحديث عن وجود أخلاق وضعية إلى رؤية راسل عن ضرورة وجود حرية دينية، وبالتالي لكي نصل إلى تحقيق هذه الأخلاق لابد من وجود حرية في الاعتقاد، وفي الحقيقة إن رؤية راسل هذه بدأت منذ أن كان في مرحلة المراهقة، يقول: "في سن الخامسة عشر تقريباً، بدأت بشكل منظم في تمحيص الحجج والبراهين العقلية التي تساق لإثبات الأركان الأساسية التي تقوم عليها الديانة المسيحية وقضيت ساعات لا تنتهي في تأمل ذلك الموضوع، وكان أول ما تخلّيت عنه هو الاعتقاد في حرية الإرادة... وبعد ذلك بسنتين أصبحت أعتقد أنه لا توجد حياة بعد الموت."² إن دحض فكرة وجود حياة بعد الموت يؤدي بالضرورة إلى وجود أفعال حرة يقوم بها الإنسان وهو واعي بذلك، غير مقيد بأوامر دينية، تنتهي بفكرة العذاب، وأنه لا حاجة لنا

¹ سفيان بقاش: الإنسان السعيد والخير الأخلاقي من خلال الرؤية الإصلاحية لدى برتراند راسل، مجلة منون، جامعة الجزائر 2، منحة الدراسات الفلسفية والإيكولوجية، مج 8، ع 4، جانفي 2017، ص 3.

² برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص 52.

للتهديد بالعذاب لكي نكون أخلاقيين، كما يذكر راسل خوف الإنسان من الأمور الغيبية مثل الموت، الحياة، الآخرة، الجنة، النار...، باعتباره يتحكم في قدرة الإنسان على اتخاذ قرارات حرة لا تخضع لأي سلطة عليا، "إن الخوف من الموت يجعل الإنسان يحس أنه عبد أسير لقوى خارجية ولو أنه استطاع التغلب على خوفه عن الموت من طريق استغراقه في التأمل فيه لكف عن هذا التأمل فاستمراره فيه دليل على أنه لم يتحرر من ذلك الخوف... أما الإيمان بأن الموت طريق إلى حياة أفضل فإنه ينبغي من الناحية المنطقية أن يبدد خوف الإنسان من الموت وأن يحفزَه إلى عدم المبالاة بالمرض بل يحفزَه إلى الترحيب به"¹. لا يمكن لنا أن نتحرر من مخاوفنا ومثال ذلك خوف الإنسان من الفناء ولا يقتصر هذا الخوف على الأشخاص المتدينين فقط فحتى الملحد لا يستطيع أن يتحرر من هذا الخوف ربما لحاجة نفسية، أو بسبب تأثير المجتمع المؤمن بوجود عقاب في حياة أخرى، لذلك فوجود أخلاق حقيقية تقوم على أسس أخلاقية غير مبالية بمسألة الفناء والجزاء أمر بالغ الصعوبة حتى من الناحية المنطقية.

كما تحدث عن منشأ الدين، وقد سبقه العديد من الفلاسفة في اعتبار الخوف كمصدر أساسي له، وخاصة خوف الإنسان البدائي من الظواهر مثل الإعصار والزلازل، لذلك عجز الإنسان عن فهم هذه الظواهر جعله يحاول التصالح معها من خلال صناعة آلهة متجددة والتقرب إليها من خلال الخضوع لها وعبادتها، "إن الخوف هو أساس العقيدة الدينية، كما هو أساس أشياء أخرى كثيرة في حياة البشر... إلا أن الخوف من الطبيعة هو الذي يدعم صعود الدين"²، لقد سعى الإنسان من القديم في محاولة فهم الطبيعة والتغلب عليها من خلال الاكتشافات العلمية، وما إن استطاع الإنسان ذلك تخلى عن الدين تمامًا.

¹ برتراند راسل: لماذا لست مسيحيًا، ترجمة: عبد الكريم ناصيف، دار التكوين، دمشق، بيروت، ط1، 2015، ص68.

² برتراند راسل: الشيطان على الأرض، إعداد وتقديم: خليل حنا تادرس، مكتبة السائح، طرابلس، لبنان، ط1، 2017، ص112.

II. المرجعيات الفكرية المنطقية:

1. الفلاسفة الذين تأثر بهم:

بحسب تأثير جورج باركلي¹ George Berkely 1685-1753م، ونقد راسل له باعتباره نموذجًا للمثالية القديمة وما يعرف بالمثالية الذاتية في تغيير معرفتنا بالعالم، إذ قد نتساءل كيف يمكننا أن ندرك العالم المادي الخارجي باعتباره منفصل عن العقل؟، نجيب حسب باركلي بأن العالم المادي المستقل غير موجود أساسًا، فمثلاً: إذا أقررنا أن الشجرة موجودة فهي موجودة لأننا استطعنا إدراكها بواسطة العقل، أما إذا ابتعدنا لمسافة معينة بحيث أنه لا يمكننا رؤية الشجرة فهي إذا في هذه الحالة غير موجودة كمادة منفصلة خارج إدراكها لنا، ولا نقصد هنا الأفكار المجردة، يمكننا تلخيص هذه النظرية في قوله: "الوجود هو إدراك وما لا يدرك غير موجود بشكل أو بآخر، أي أنه لا يمكننا أن نعرف شيئاً خارج وعيينا"، كل شيء موجود عندما ندركه وما لا ندركه لا وجود له، أما بخصوص الأفكار المجردة مثل: العدالة، الحرية، الحب... فهي أفكار موجودة داخل عقل الإنسان والضامن من وجودها فعلياً هو الله باعتباره خالق وحافظ للعالم.

لقد اتهم الواقعيون الجدد وبالخصوص موروراسل هذه النظرية بقولهم أن: "باركلي يخلط فيما هو واضح بين معنيين لكلمة "فكرة" التي يمكن أن تلد على فعل المعرفة النفسي كما يمكن أن تدل على موضوع المعرفة أو المعروف ومن الظاهر أنه لا حاجة لأن يكون المعروف قائماً دائماً في الوعي، لأنه يوجد خارج الوعي ومستقل عن الذات العارفة، وهذا هو الأساس الذي تقوم عليه الواقعية"²، إذا هنا باركلي يخلط بين الموضوع والفعل وهذا بسبب أنه لم يقدم تعريفاً دقيقاً لكلمة الفكرة.

¹ جورج باركلي: فيلسوف إيرلندي كان إنجازاه الرئيسي في تطوير اللامادية من خلال إنكار جوهر الوجود المادي.

² بن شريف بوعلام: موقف راسل العدائي من الفلسفة المثالية، مجلة مقاربات فلسفية، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، مج8، ع1، 2021، ص23.

بالعودة إلى مثالنا السابق وحسب الواقعيون نقول إن الشجرة تبقى موجودة كشيء مستقل عن وعينا دون الحاجة لنا بأن نراها، والدليل على ذلك هو التقدم العلمي في البيولوجيا مثلاً، بحيث هناك العديد من الكائنات الحية التي كنا نجهلها في الماضي وبواسطة العلم استطعنا معرفتها، وجهلنا بمعرفتها سابقاً لا يعني عدم وجودها مما يسمح لعلماء البيولوجيا والفيزياء وغيرهم فتح باب التساؤل حول إمكانية وجود كائنات أخرى نجهلها، كما اعتبر راسل موقف باركلي قد يؤدي به الوصول إلى نزعة ذاتية لا يمكن الهروب منها إلا من خلال اللجوء لفكرة الله، ولكن هذا الاعتقاد حسب راسل ينتهي بالإنسان وهو حبيس داخل وعيه الخاص، ممتنع من الخروج إلى العلم الواقعي، كما وجه راسل نقداً لاذعاً لباركلي وهو ما يكشف الأزمة التي واجهها مع مثاليته المطلقة، وينتقل للحديث عن المغالطة التي وقع فيها باركلي والتي تتمثل في الانتقال من فعل "الإدراك" إلى اعتبار أن الشيء المدرك هو في العقل، وهذا ما يمثل مبدأ العلاقات الداخلية التي سيطرت عند برانلي وستاوت، فعند باركلي نجد أن وجود الأشياء يبقى مرهوناً دائماً بعلاقتها داخل "المطلق"، لذلك رأى راسل أن تحرير الفلسفة من هذه المغالطات يستدعي منا التمييز بين فعل المعرفة وموضوع المعرفة، ومن هنا أسس لما يعرف بالعلاقات الخارجية والتي تفترض أن وجود الطاولة والشجرة باعتبارها "موضوع" تبقى مستقلة عن ماهيتها عن "فعل الإدراك لها"¹، وبهذا يمثل نقد راسل لباركلي هنا التمهيد لثورة راسل ومور التي أعلنت استقلال الأشياء عن الإدراك العقلي، ومهدت أيضاً لظهور الذرية المنطقية كبديل للمثالية المطلقة.

2. في مجال المنطق:

بداية نتحدث عن تأثير جون ستيوارت مل على راسل، باعتباره أولاً بمثابة أب روحي له ولواديته قبل ذلك من خلال تبني الكثير من آراءه، وكان يحسب له تأثير آخر على راسل في فكرة أخذ الواقعية المنطقية ولكن قد فسر هذه المنطقية تفسيراً نفسياً وهو ما أراد راسل أن يظهر المنطق منه، كما رأى مل أنه لا يمكن أن نحصر المنطق في مجرد رموز فارغة من المعنى، وقد طرح مل سؤالاً حول دلالة الكلمات في الواقع وهل هي تعني نفس الشيء في

¹ برتراند راسل: مشكلات الفلسفة، ترجمة: سمير عنده، ط1، دار التكوين، دمشق، سوريا، 2016، ص46.

المنطق؟ ويرى بأن هذه الأخيرة ليست إلا مجرد ألعاب ورموز بل يجب أن يمثل أشياء حقيقية لكي يضمن أن النتائج تكون أكثر دقة وصرامة، وقد ركز مل في مسألة الحقيقة المنطقية، ويرتبط هذا بالفلسفة أولاً وبالمنطق العام ثانياً.

"وقد صارت مشكلة الدلالات ذات مكانة رئيسية في المنطق الحديث من أجل تعويض الألفاظ عن حقيقتها المعنوية بحقيقتها المنطقية، ذلك أن المنطق يلتزم بطريقة دائماً من أجل اكتساب حقيقة الدلالات المنطقية لا الدلالات الموضوعية، ولا بد من العمل في المنطق على إزالة معنى الشئئية، ولا يلبث كل علم منطقي أن يشعر عاجلاً أو آجلاً بضرورة مواجهة هذه المشكلة كي يستكمل ضرورات عملياته المنطقية"¹ ويتضح لنا أن الأزمة التي وقع فيها مل هي بسبب سوء التعامل مع الأدوات المنطقية والخلط بينهما بطريقة صورية رمزية وكمفهوم مرتبط بالتصورات الذهنية وكحقيقة منطقية خالصة، بحيث عارض استخدام الرموز وحاول اقحام الأشياء نفسها في العلاقات المنطقية، وهنا يكمن جوهر الانتقال من مل إلى راسل أي من المنطق السيكلوجي إلى المنطق القائم على رموز الرياضيات الدقيقة وهذا من خلال التأكيد على أدوات المنطق الجديد، ورداً على رؤية مل المرتبطة بالجانب النفسي يقول راسل: "عندما نحلل التفكير لا ينبغي أن نفترض أنها تعتمد دائماً على صورة ذهنية فليس من الضروري أن تظهر في أذهاننا صورة معينة في مرة نفكر فيها، بل في الواقع، نحن قادرون على التفكير المجرد تماماً، دون أن تمر في أذهاننا أي صورة على الإطلاق، والقول بأن كل تفكير لا بد أن يتضمن صوراً ذهنية هو في الحقيقة مجرد افتراض نابع من انحياز نفسي وليس من حقيقة عقلية ضرورية"²، ولكي نفهم طريقة التفكير الصحيح لا بد من أبعادها من مجرد الاعتقاد النفسي إلى قاعدة منطقية دقيقة، لا يرتبط التفكير كأشياء نتصورها ومثال ذلك قد نفكر في

¹ عبد الفتاح الديدي: النفسانية المنطقية عند جون ستيوارت مل، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985، ص168.

² برتراند راسل: تحليل الفكر، دار الفرقة، دمشق، (د.ط)، 2018، ص105.

مفاهيم معقدة ومجردة دون أن يأتي في أذهاننا أي تصورات والقول بأن التفكير مرتبط دائماً بصورة قبلية هو قول خاطئ.

3. في مجال الرياضيات واللغة الرمزية:

قدم راسل فكرته حول اعتبار المنطق أساس الرياضيات في كتاب مبادئ الرياضيات (Principia Mathematica) مع "الفريدوايتهيد" ويعتبر من أهم الكتب التي تعالج فكرته الأساسية حول تحليل المفاهيم الرياضية بردها إلى أسس منطقية ويذكر هذا في الباب الأول المعنون " بالرياضيات البحتة" حيث قدم راسل تعريفاً جديداً للرياضيات، باعتبار أن جميع القضايا الرياضية يمكننا تحليلها إلى قضايا منطقية تقوم على علاقات منطقية باستعمال ثوابت تعرف بالثوابت المنطقية، "الرياضيات البحتة هي باب جميع القضايا التي صورتها ($p \rightarrow q$) بحيث (p, q) قضيتان تشتملان على متغير واحد أو جملة متغيرات هي بذاتها في القضيتان، علماً أن (p, q) لا تشتمل على ثوابت غير الثوابت المنطقية، والتي يمكن تعريفها بدلالة اللزوم¹ يمكننا التعبير على كل العلاقات المنطقية باستخدام علاقة واحدة فقط هي علاقة اللزوم

Logical Implication أو الاستلزام المنطقي وفق القانون التالي: $\rightarrow (p \rightarrow \neg q) \equiv p \cap q$

متأثراً بما جاء به **غوتفريد لايبنتز** وإيمانه الشديد بأن الرياضيات عبارة عن استنباطات من الأصول المنطقية وفق الأصول المنطقية، وأنه من الضروري معرفة كل شيء، حتى البديهيات ينبغي لنا إثباتها وفق نظام منطقي صارم، شرح راسل هذه الفكرة بطريقة أقل تعقيداً في كتاب آخر يعتبر شرح للكتاب الأول (أصول الرياضيات).

"لقد أصبح المنطق أكثر رياضيتاً والرياضيات أصبحت أكثر منطقية والحاصل الآن أصبح من المستحيل أن نرسم الخط الفاصل بينهما ولكن الواقع الاثنان هما واحد والاختلاف بينهما هو كالفرق بين الرجل والصبي: فالمنطق هو صبا الرياضيات والرياضيات هي رجولة

¹ برتراند راسل: أصول الرياضيات، مصدر سابق، ص 31.

المنطق"¹، إذا حسب راسل أن كل من المنطق والرياضيات متطابقان جدًا، بحيث أنه لا يمكن الفصل بينهما والدليل على ذلك أن أسس الرياضيات الجوهرية هي في الواقع مفاهيم منطقية بحتة مثل تعريف العدد، وكذلك اعتبار البديهيات الرياضية مبادئ منطقية استنباطية. لنفترض أن: $A = B$ و $B = C$ إذا: $A = C$ وبالتالي فإن النتيجة هي عبارة عن استنباط من مقدمتين أو القضيتين الأوليتين وهو ما أكد عليه راسل من خلال رد من القضايا الرياضية إلى علاقات استنباطية منطقية.

لم يتوقف راسل عند هذا فحسب بل ذهب أيضًا إلى الربط بين التحليل المنطقي والواقع باستعمال اللغة الرمزية بحيث اعتبرها أساسًا للفلسفة العلمية وهو ما يعرف (بالفلسفة الذرية المنطقية) محاولة منه من استبدال تلك التصورات والمفاهيم النابعة من اللغة التقليدية نحو البحث عن لغة جديدة باستطاعتها أن تعبر عن الواقع بدقة، "إن السبب الذي من أجله أطلق على مذهبي ذرية منطقية، هو أن الذرات التي أريد الوصول إليها في نهاية التحليل إنما هي ذرات منطقية وليست ذرات فيزيائية، وبعضها سيكون ما أطلق عليه جزيئات، وهذه الأشياء دقيقة جدًا مثل اللون أو الصوت والأشياء اللحظية أو البرهية، وبعضها الآخر سيكون محمولات أو علاقات وهكذا، أذا النقطة الأساسية التي أبغى الوصول إليها هي ذرة التحليل المنطقي وليست ذرة التحليل الفيزيائي"². يقصد بالذرة المنطقية بالفكرة أو الموضوع التي لا يمكن تبسيطها أكثر من ذلك دون أن يفقد معناه. إذا راسل لا يبحث عما تتكون منه كلمة "طاولة" كمادة فيزيائية وإنما عما تتكون منه قضية الطاولة كمعنى.

من خلال إطلاع برتراندراسل على أعمال فريجه سنة 1900م شكل ذلك منعطفًا مهما في مساره الفكري إذ وجد عنده حلًّا لأزمة أسس الرياضيات والتي كان قد اطلع عليها قبله عند مل ولكنه لم يكن راضيًا على الحل الذي قدمه جونستيوارتمل، وخاصة في تعريف العدد،

¹ برتراند راسل: مدخل الى فلسفة الرياضيات، ترجمة: عبد اللطيف الصديقي، دراسات، دمشق، ط1، 2009، ص201.

² برتراند راسل: فلسفة الذرية المنطقية، تر: ماهر عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص29.

يطرح راسل سؤالاً "ما هو العدد؟" ويقول إنهم بين الأمثلة التي كثيراً ما تطرح ولكن لم تحدد لها إجابات صحيحة إلا عندما تقدم **فريجه** بالإجابة عليها في عمل (أساس علم الحساب) ولم يطلع عدد كبير على هذا العمل حتى عام 1901م على يد **برتراندراسل**، بحيث تأثر به في مبدأه الأساسي وهو أن الرياضيات ليست إلا امتداداً للمنطق، من خلال تبني موقفه في تعريف (العدد) باستخدام مفاهيم منطقية مثل الفئة والعلاقة بعيداً عن الاعتماد على الحدس أو على العد الفيزيائي، فينتقل راسل بتأثير من **فريجه** من البحث عن تعريف العدد من خلال ماهيته كخاصية ذاتية إلى القول أن العدد 3 هو الفئة التي تضم كل المجموعات المكونة من ثلاث عناصر، وكذلك استلهم فكرة أنه لسنا بحاجة معرفة العدد لكي نقرر بأن مجموعتين متساويتين مثال أن العدد "2" هو الفئة التي تضم في داخلها كل الأزواج الموجودة في الواقع، إذا هي فئات متشابهة لأننا نستطيع الربط بين عناصرها "واحدًا إلى واحد"¹.

أعظم ما استلهمه راسل من **فريجه** هو قدرته على إعطاء تعريف دقيق لمفهوم "تساوي الأعداد" قبل التطرق لتعريف العدد نفسه، من خلال عملية المزاوجة والتي استطاع من خلالها بناء مفهوم العدد منطقيًا دون الوقوع في تعريف العدد بالعدد أو إعطاء تعريفات ميتافيزيقية تقليدية.

رؤية راسل بأن اللغة الطبيعية مليئة بالعيوب والغموض جعله يبحث عن بديل آخر لها من خلال منهجه المنطقي والتي يجب أن يطابق الواقع من خلاله، فكان استخدام الرموز لوصف بنية الواقع هي الحل الأمثل، والحقيقة أن **برتراندراسل** لم يكن سباقاً في ذلك، حيث: إن من بين المحطات الكبرى في تاريخ المنطق هو ما نجده عند **لبينتز**، حيث استخدم العمليات الحسابية للدلالات على القضايا، فاستبدال **لبينتز** الحروف الأبجدية بمتغيرات عديدة، ليصل إلى صيغة رمزية كما في المثال الآتي: "الإنسان

¹ برتراند راسل: مدخل إلى فلسفة الرياضيات، مصدر سابق، ص 23_25.

حيوان عاقل¹ ليكن: إنسان h ، حيوان a وعاقل r ، نضع: $h = ra$ حيث $r.a.h$ تمثل أعدادًا نفترض أن: $a = 2$ و $r = 3$ ، سيكون: $h = 6$.

لتصبح المساواة السابقة تساوي العملية الحسابية: $3 \times 2 = 6$ الذي يغير تعريف مفهوم الإنسان، يؤكد راسل من خلال كتاباته عن المنطق بأن ليبينتز بمثابة سلف روجي من خلال وضع حجر الأساس، في فكرة استبدال الكلمات برموز عددية، وكانت غايته في ذلك حل المشكلات التي وقع فيها الفلاسفة نتيجة وجود غموض باللغة الطبيعية، كانت محاولة ليبينتز نابغة عن الحلم بالحساب المنطقي، ولكن راسل تجاوز ذلك بتأثير من بيانو إلى فكرة الرمز، فبدل أن نستخدم رموزًا رياضية نتعامل مع روابط منطقية مثل الوصل والفصل والكميات ($\rightarrow, \cap, \exists, \forall$) .

III. المرجعيات المنهجية والفكر المنطقي:

1. نقد المثالية ونشأة التحليل:

بدأ برتراندراسل حياته الفكرية مثاليًا، هذا بسبب دراسته في كامبريدج في وقت كانت سيطرت فيه الفلسفة الهيجلية بزعامة برادلي، ولكن راسل قد تأثر مباشرة بهيجل وقد ذكر هذا في سيرته الذاتية: "كان ماكتاجرت من أتباع الفيلسوف هيجل، وكان في ذلك الوقت شابًا متحمسًا... وظللت مدة سنتين أو ثلاث واقفًا تحت تأثيره... وما زلت أذكر اللحظة التي أصبحت فيها من أتباع هيجل أثناء السنة الرابعة"².

كانت الساحة الفلسفية في كامبريدج تسيطر عليها المثالية الهيجلية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وكانت تقوم على اعتبار أن العالم وحدة واحدة لا يمكن تجزئته ولا

¹ رحموني نور الدين: وحدة وتعدد رموز المنطق الرياضي بين الفهم والتأويل، مخبر فلسفة العلوم والتنمية بالجزائر، جامعة باتنة، مج14، ع1، 2015، ص525.

² برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص87.

يمكن أن نفهمه إلا من خلال الواحد المطلق، ولكن سرعان ما انقلب عليها راسل باعتبار أن منطق هيجل هو منطق فاسد.

يرى راسل أن هيجل وأتباعه حاولوا توسيع نطاق المنطق بطريقة تجعله متطابقاً مع الميتافيزيقيا، كما يرى هيجل أنه يمكن إثبات خصائصاً معينة للعالم من خلال التفكير القبلي، معتبراً أن أي عالم يفتقر لهذه الخصائص سيكون مستحيلاً منطقياً، كما أن هيجل اعتمد في تأسيس منطقته على عيوب المنطق التقليدي ضمناً دون أن ينتقدها خاصة عندما نتحدث على مفهوم المطلق، حيث ساد الاعتقاد بأن كل قضية تنسب خبراً إلى موضوع وهو ما تنهي إلى نتائج ميتافيزيقية، كما انتقد راسل فكرة أنه يمكننا أن نستنتج طبيعة الكون الفعلي من المنطق لأن هذا ليس عمله في المقابل يجب أن يهتم بالقوانين الصورية والاتساق الذاتي¹، اعتقد راسل أن المثاليين أمثال هيجل وبرادلي قد وقعوا في فخ اللغة من خلال حصرهم لكل القضايا المنطقية في صورة القضية الفعلية والتي تتكون من (مبتدأ وخبر) وبالتالي توصلوا إلى كل صفة هي جزء من ماهية الشيء وبما أن الكون مترابط في شكل وحدة حسب المثاليين فإن الحقيقة لا يمكن لها أن توجد إلا في نطاق المنطق المطلق وأي جزء منفصل عن هذا الكل هو وهم كما تربط المثالية بين قوانين الفكر وقوانين الوجود الفعلي.

تمثل فلسفة برتراند راسل نقطة تحول هامة في الفكر المعاصر، حيث استند في تقويضه للمثالية المطلقة إلى مجموعة أدوات منطقية رياضية، بحيث أنه استلهم بذورها الأولى من زميله ج إ مور بينما تمثل المثالية العالم على أنه وحدة متكاملة، رأى راسل أنه على العكس من ذلك مؤمناً بمذهب الكثرة ومن ثم الواقعية التعددية متأثراً بمور مؤكداً بأن الكون له عدد لا نهائي من الأجزاء والتي أسماها كيانات مستعلية عن إدراك الذهن لها، مما مكنه من بناء منطق العلاقات، بحيث تكون هذه العلاقات خارجية مطلقة لا يمكن إرجاعها إلى صفات

¹ برتراند راسل: معرفتنا بالعالم الخارجي، ترجمة: علي مولا، (د.ط)، (د.س)، ص30.

الحدود أو صفات المجموع الذي يتركب منه هذا الحد¹، وبناءً على هذا التأثير ومن خلال تجزئة العالم إلى كيانات وعلاقات منفصلة استطاع راسل بلورة منهجه التحليل القائم أساسًا على تفكيك القضايا المعقدة إلى عناصر بسيطة وصولاً إلى ذراتها الأولية.

يؤكد هيجل "أن الواقعي عقلي وأن العقلي واقعي، ولكنه عندما يقول هذا فإنه لا يقصد بالواقعي ما يقصد بالتجريبي وهو يسلم بل ويلمح على أن ما يبدو للتجريبي وقائع هو لا عقلي ويجب أن يكون كذلك، وهذه الوقائع تروى كوقائع عقلية فقط، عندما يتحول طابعها الظاهر بالنظر إليها على أنها وجود للكل، ورغم ذلك فإن توحيد الواقعي والعقلي يقضي لامحالة إلى الرضا الذاتي غير المنفك عن الاعتقاد بأنه "أياً كان ما هو موجود فهو حق"².

حسب راسل فإن هيجل يرى بأنه لا وجود لفاصل أو اختلاف بين ما يدركه العقل وما يحدث في الواقع يعني أنه ليس تجريبي، مثال ذلك: عندما نرى حدث عابر فهو بالنسبة لهيجل مجرد "مظهر" وقد لا يدل على شيء واقعي حقيقي، أما الواقع الحقيقي عنده هو كل شيء يدور داخل "الكل" وهذا هو الواقع المنطقي، وعندما نؤمن بأن كل ما هو موجود في الواقع الحقيقي يوافق العقلي والمنطقي فإننا سنشعر بالاندماج مع العالم، كما أن قوله إن التاريخ يسير وفق حكم العقل والمنطق فنعني بها أن كل مرحلة تاريخية تمتلك مبررات منطقية مادامت تنتمي إلى "المطلق".

إن نشأة المنهج التحليلي المنطقي كان ردًا على الفلسفات المثالية والتي كانت تهدف إلى إحياء الإيمان بالله والإيمان بالخلود والروح وحرية الإرادة، فكان انتشارها في إنجلترا مقرونًا بمحاولة الحفاظ على هذه القيم من سيطرة تقدم العلم ومن خلال ذلك أعادوا الإيمان بهذا المذهب مجددًا ونجده عند فرانسيس برادلي في كتابه "المظهر والحقيقة" 1893م من خلال عرض منهجه الواحدي

¹ برتراند راسل: أصول الرياضيات، ترجمة: محمد موسى أحمد، أحمد فؤاد الأهواني، (ط 1)، دار المعارف، مصر، ص24_25.

² برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، (د.ط)، الإسكندرية، 1977، ص353.

وكيف أن العالم لا يمكن تجزئته ولا يمكن أيضًا أن نفهم الجزء بعزله عن الكل¹، لذلك فإن ظهور الواقعية عند راسلومور كرد فعل على التقليد البريطاني للمثالية الألمانية.

إن هدف راسل من التحليل لا يقتصر على الوضوح والبساطة فحسب بل يتجاوز ذلك إلى اعتبار التحليل أداة منهجية تطبق على اللغة لتفكيك بنيتها الخارجية، والكشف عن ماهيتها الأولى من خلال تحويلها إلى عناصر أولية منفصلة لا تقبل التحليل، بعدما كانت تبدو كأنها وحدة متكاملة معقدة، مفترضًا أن كثيرًا من المشكلات الفلسفية لا تعود إلى طبيعة الفلسفة في ذاتها بل إلى سوء فهم اللغة التي تصاغ بها هذه المشكلات، وأن التحليل هو نقل لتصور أو مفهوم حول لفظ أو عبارة ما من كونه مركب معقد إلى تصور بسيط، والغاية منه محاولة إبراز وجود تناقض كامن حول مفهوم فلسفي معين، بحيث أنه لا يمكننا الكشف عن هذا التناقض إلا بواسطة التحليل، أي بعبارة أخرى الهدف من وراء هذا التحليل هو تحويل الصياغات المجردة التي تعود على استعمالها الفلاسفة إلى أمور واقعية مستعملة في اللغة العادية، وذلك بهدف تبديد ما حولها من غموض وضباب وقد يؤدي بنا التحليل إلى أن نكشف أن بعض المصطلحات التي يستخدمها الفلاسفة خالية تمامًا من المعنى²، لذلك اتجه راسل من خلال المنهج التحليلي إلى تأسيس فلسفة علمية وهو حلم راود العديد من الفلاسفة قبله انطلاقًا من أرسطو وكان الهدف من ذلك هو تأسيس فلسفة محصنة من الأخطاء والنظريات غير الدقيقة ونتيجة لهذا استبعد الميتافيزيقيا التقليدية، باعتبار أنها علم غير دقيق وغير قابل للتحقيق تجريبيًا، كما لا يمكن التأكد من صدقها واقعيًا لذلك لا يمكن التسليم بها، "إن الثورة التي قادها راسل على الفكر المثالي تؤكد لنا الطابع الذي تميزت به فلسفته في كل مراحلها، فقد كان بحاجة لأن يتخذ المنهج العلمي دعامة أساسية لفلسفته التحليلية، فالفلسفة بالنسبة له حركة ونشاط دائم، ومن خلال هذا النشاط يمكن للفلسفة أن تعكس بمنظارها الخاص النتائج التي

¹ بن شريف بوعلام: موقف برتراند راسل العدائي من الفلسفة المثالية، ص239.

² يحي هويدي: قصة الفلسفة الغربية، (د.ط)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993، ص149.

تصل إليها مختلف العلوم التطبيقية، وذلك عن طريق محاولة إيجاد وسيلة ملائمة لمعالجة مشكلات العلم¹.

ومن خلال ما ذكرناه سابقاً أن مهمة الفلسفة الجديدة تتمثل في تحليل القضايا والمشكلات باستخدام لغة المنطق المعاصر ولا يتحقق ذلك إلا من خلال إبعاد الفلسفة من التأمّلات الميتافيزيقية وتخليصها من المفاهيم والتصورات الفارغة من المعنى.

لم يرفض راسل الميتافيزيقيا بشكل نهائي كما يفهم أحياناً أو يدرس، وإنما يستبعد الميتافيزيقيا التقليدية والتي تحوي أفكاراً خالية من المعنى، لأنها غامضة من جهة ومن جهة أخرى لا يمكن إخضاعها للمنهج التحليلي في صورته المنطقية، كما أن الذرات التي تحدث عنها راسل هي ذاتها نوع من الميتافيزيقيا لذلك كان مصير الميتافيزيقيا هو الإقصاء من دائرة البحث المعرفي بدعوة أنها "كل عبارة لا يمكن التحقق منها تجريبياً فهي عبارة بلا معنى".

لذلك نظرة راسل لم تكن عدائية مثل جماعة حلقة فيينا بل يرى أن مثل المثالية هيكل وبرادلي فارغة لأنها تحمل في داخلها أخطاء منطقية وأشهر خطأ هو الخلط بين العلاقات ولا يمكننا أن نصل إلى هذه الأخطاء إلا من خلال تطبيق منهج التحليل، أي أنه توصل من خلال نقد المثالية التقليدية إلى القول بأنها تدخل ضمن العبارات التي ليس لها معنى، فكون المفاهيم الميتافيزيقية غير قابلة للتحقيق تجريبياً من جهة ومن جهة أخرى ليست تحصيل حاصل مثل المعادلات الرياضية والقضايا المنطقية فهي إذا تدخل في نطاق الغامض وهذا ما سعى راسل لتطهير الفلسفة منه، وترك مهمة الفلسفة الوحيدة في تحليل وقائع العالم وربطها بالعلم والرياضيات لتصبح أكثر دقة وصرامة، ومن خلال هذا المنهج توصل إلى أن القضايا الميتافيزيقيا لا تخضع لمعايير الصدق والكذب.

يأتي التحليل عامة عكس التركيب، من خلال إرجاع الكل إلى أجزاء متعددة بهدف التوضيح وإبراز إمكان وجود تناقض كامن، "فالتحليل في مجال المنطق يهدف إلى ربط الفلسفة

¹ برتراند راسل: فلسفة الذرية المنطقية، ترجمة وتقديم: عبد القادر محمد، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د.ط)، 1998، ص

بالمنطق مؤكدًا بذلك استبعاد كل التأملات الميتافيزيقية خاصة عند أنصار المدرسة الوضعية الذين فكروا واستبعدوا كل نشاط فكري يخرج عن الفضاء الطبيعي، ومن هنا نلاحظ كيف أن الفلسفة التحليلية تحولت نحو الذرية المنطقية وأن هذا التوجه تميز به عمل برتراندراسل، وهو ما جعله يخطو خطوة جديدة بفضل المنهج التحليلي، وذلك المنهج الذي تأثر فيه بالرياضيات والمنطق¹، أي أن التحليل ليس مجرد عملية تفكيك صامتة، بل هو عملية استنتاجية كأداة للكشف، كما أن التحليل المنطقي لا يهتم بالإنشاءات الأدبية، بل يركز في المفاهيم العلمية والقضايا المنطقية، بين أن راسل لم يكتفي بمجرد التحليل اللغوي للكلمات بل استخدم المنهج الرياضي في تفكيك القضايا وصولاً إلى ما يعرف "بالذرات المنطقية"، وما ساعده على الوصول إلى هذه النتائج هو الاعتماد على المنطق الرياضي بهدف تجاوز عيوب اللغة الطبيعية وكذلك ردًا على الفلسفات المثالية التي ترى أن العالم لا يمكن تجزئته إلى ذرات منطقية.

كما تتجلى عبقرية راسل في اعتماد المنهج التحليلي كأداة لتحويل اللغة العادية من سياقها العام إلى لغة منطقية ذات دقة متناهية، متجاوزًا محدودية مشروع فريجه ليطبق التحليل على المفاهيم اللغوية والمنطقية بشكل أوسع، ليصل من خلاله إلى "نظرية الأوصاف"، والتي تعد ركنًا أساسيًا في فلسفته التحليلية، وتأتي هذه النظرية في شكلين عام وخاص أما العامة هي التي تشير إلى الأشياء المشتركة والخاصة تفيد تحديد معنى معين من خلال صفاته دون الحاجة لتسميته، فكلية (إنسان) مثلاً تشير إلى فرد مادام أنه تنطبق عليه صفات (الإنسان) الأول على الوجود أي وجود فرد واحد على الأقل والثاني على أن يكون الفرد وحيداً في اتصافه بالصفة، وعند الربط بينهم نصل إلى تحديد ما يسمى (تفرد المسمى)²، ومن هنا نستطيع تجاوز أي لبس دلالي قد تفرضه اللغة العادية.

¹ أحمد جيبى: عبد الحكيم صايم، المنهج العلمي عند برتراند راسل وسؤال الحقيقة، مجلة أبعاد، جامعة محمد بن أحمد، وهران، مج 12، ع 1، 2025، ص 25.

² كمال ضيرشي: قراءة في الفلسفة المعاصرة، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، جامعة الجزائر، مج 2، ع 3، جوان 2014، ص 147.

من خلال تأسيس راسل للمنهج التحليلي المنطقي أي طرح الفلسفات القديمة وفق نظرة أخرى جديدة، معتبراً بأنه لا يمكن أن تسلم بصحة المفاهيم التقليدية دون التأكد من صدقها برهانياً، مما يسمح لنا إعادة صياغتها على أسس منطقية رياضية، من خلال تفكيك المفاهيم المعقدة من وحدة كاملة إلى عناصر منفصلة، للكشف عن الأخطاء والتناقضات الكامنة فيها، وبذلك هو يؤسس لفلسفة جديدة أكثر دقة تعتمد على التعددية بدل الواحدية وعلى التحليل المنطقي بدل التأمل في مفاهيم ميتافيزيقية فارغة من المعنى متجاوزاً عيوب اللغة الطبيعية.

2. أثر المنهج الاستنباطي عند ليبنتز:

إن المنهج الاستنباطي عند ليبنتز قد تشكل تحت تأثير النزعة الرياضية والفيزيائية، بحيث يبدأ من خلال تعريفات منطقية ليصل في النتيجة إلى حقائق كلية، لذلك نظر إلى الفلسفة نظرة رياضية وحاول استنباط النتائج بنفس الكيفية في الرياضيات، بحيث لم يكن الانتقال بين القضايا المنطقية مجرد انتقال صوري بل كان انتقالاً مشروطاً ضرورياً لفحص الأفكار من الناحية المنطقية، أي أن الاستنباط عنده يشترط إمكانية صدق القضية المنطقية، أما إذا كانت القضية المنطقية كاذبة لا يمكن أن نبدأ في استنتاجها ومن هنا يمكننا القول على أن المنهج الاستنباطي عنده يقوم على مبدأ عدم التناقض باعتباره شرطاً أساسياً، إذ أن العقل لا يمكن له أن يستنبط أشياء غير ممكنة وهو ما فتح باب النقد أمام راسل ليؤسس لمنهجه التحليلي¹.

قدم ليبنتز رؤيته إلى الفلسفة وهو متأثر تمام التأثير بالفيزياء والهندسة الديكارتية، انتقد راسل الفكرة القائلة بأن القضية الكلية هي داله شرطية تقرر وجوداً واقعياً، لكي نسلم بصدقها المنطقي وقال بأن التحقق هو من عمل التجربة وليس بإمكان الاستنباط أن يقرر ذلك.

إن دراسة راسل للمنطق الرياضي كانت عبارة عن رؤية جديدة له من خلال دخوله له بواسطة الرياضيات ودراسته للمنطق القديم دراسة نقدية، بحيث كانت ثورته ضد الفلسفة المثالية

¹ مونييس لخضرة: ليبنتز وسؤال ميتافيزيقا العالم، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة تلمسان، ع 9، ديسمبر 2014، ص 220_221.

والمنطق المثالي "خاصة عند برادلي إنما هو منطق ناقص لأنه لم يعد جزءًا أساسيًا في المنطق، يتمثل في مبدا العلاقات، ومن خلال دراسة راسل لبينتز استنتج أن المذاهب الكبرى في الفلسفة مثل: مذهب أرسطو، هيغل وبرادلي، قد وقعت في فخ منطقي نتيجة لحصر القضايا في ما يسمى بالموضوع والمحمول، مما جعل المنطق يبدو ضيقًا، من خلال رد كل القضايا إلى الصورة التي قدمها هؤلاء وهو ما دفع لبينتز إلى استنباط وجود جواهر ميتافيزيقية متجاهلا دور هذه العلاقات في تحليل بنية الواقع"¹.

إن كل قضية يمكن تحليلها إلى موضوع ومحمول لذا فإن دعاة التقليدية تحت تأثير النزعة المحافظة على التعاليم الأرسطية حصروا متن أبحاثهم في ذلك التقسيم الرباعي الذي قدمه أرسطو للقضايا ذات صورة (الموضوع والمحمول) ... ويستند ذلك التقسيم الرباعي للقضية العملية إما إلى الكم أو الكيف...، قدم أرسطو تقسيمًا رباعيًا المعروف بالمرجع الأرسطي ويتم هذا التقسيم إلى وجود أربعة قضايا مختلفة في الكم والكيف (قضية موجبة وسالبة)، (قضية كلية وجزئية) وسار على نهجه لبينتز والعديد من المناطق متجاهلين أنها تحمل في جوهرها إمكان التحليل، "ومن ثم فإن اعتبار التقليد بين هذه الصورة للقضية هي ذاتها القضية العملية وكان عازًا على المنطق"².

يقصد بالتقليدين هنا كل من أرسطو ولبينتز وهيكل وكل المناطق الذين ساروا في نهج المنطق التقليدي قبل راسل، بحيث كانت الصيغة الوحيدة التي اعترف بها المنطق الأرسطي (أهوب) ونقدم المثال الشهير: "كل إنسان فان"، "سقراط فان"، ومنه تم حصل كل القضايا في هذه الصيغة مما ساهمت حسب راسل في تأخير تقدم كل من الرياضيات والمنطق وبالتالي فإنه لا يمكننا فهم مبدأ العلاقات.

¹ ماهر عبد القادر محمد: فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ب_ط، 1985، ص127.

² ماهر عبد القادر محمد: فلسفة التحليل المعاصر، مرجع سابق، ص128.

لقد اتضح لراسل من خلال دراسته لـ **ليبينتز** ومن دراسة القياس التقليدي أن **ليبينتز** حين درس القياس التقليدي خاصة الضرب (Drapait)¹ في الشكل الثالث كاد يصل الى بناء المنطق الرياضي بأسره، خاصة وأن دراسته لهذا الشكل كانت تقوده الى خطأ ظاهر فيه، لكن اعتقاد **ليبينتز** في اكتمال الفكر المنطقي لدى أرسطو جعله يتراجع في خطأه ويوضح لنا راسل أن الضرب (Drapait) يتضمن أغلوطة (Fallacy) ، وصل راسل من خلال القراءة النقدية التي أجراها لمنطق **ليبينتز** ودرسته منطق القياس التقليدي إلى استنتاج مفاده أن **ليبينتز** وبالاغتماد على الشكل الثالث من أشكال القياس الحملي دون الشك في صحته أدى به إلى قبول جميع أشكال القياس وتقديمها كحقائق منطقية نهائية، من خلال تسليمه بقانون أن المحمول كامن في الموضوع ومن خلال تأثره بالضرب شكل كل الميتافيزيقيا وحاول من خلاله أيضا أن يصل إلى اليقين الرياضي الشامل.

لكن راسل أثبت عكس ذلك من خلال استنتاج أن هذا يحتوي على "مغالطة الوجود"² ولم يكن ذلك ظاهراً عند **ليبينتز** بحيث أن راسل لم يرفض "داراباتي" كلياً بل اشترط على أن يكون الحدان وسط خالياً لكيلا يسقط القياس في المغالطة الوجودية، كما أسس راسل بخلاف منطق العلاقات الداخلية عند **ليبينتز** "منطق العلاقات الخارجية"، من أهم ما قدمه راسل في فلسفته وأغلب أصحاب الواقعية الجدد، هو نقد المذاهب التي تقوم بالواحدية، ويرى أيضا أنه لا توجد علاقات داخلية وأن كل العلاقات هي علاقات خارجية، أما القول أن ماهية الأشياء مرتبطة بهدف العلاقات هو مجرد خطأ، كما دافع راسل عن موقف العددية من الأخذ بالتمييز بين الذات والموضوع مما يحيله إلى مذهبه الذرية المنطقية³.

¹ الضرب: هو الضرب الأول من ضروب الشكل الثالث للمقياس عند أرسطو يتألف من مقدمتين وتكون نتيجته جزئية موجبة.

² المغالطة الوجودية: ونعني بها أن نستنتج شيئاً موجود من مقدمات لا تتضمن وجوده، وهي تصيب الشكل الثالث من الضرب، بحيث نقوم من خلالها استنتاج الوجود من خلال مقدمات لا وجود لها.

³ إـم، بوشنكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرفي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، (بـط)، 1992، ص5.

3. أثر النزعة التجريبية:

التجريبية هي النزعة التي ترى بأن المعرفة مصدرها التجربة الحسية، وتعطي للعقل دورًا ثانويًا وأن أي قانون إنما يتوقف صدقه وصحته من خلال معيار التجريب عليه وخاصة في العلوم الطبيعية، وتنفذ أي معيار آخر كان عقلي أو مثالي، ولكن سرعان ما ظهر تيار آخر يزواج بين التجريبية والعقلية، أما برتراند راسل فنسب الى التجريبية البريطانية، فهو يقول الخبرة مصدرًا للمعرفة ويرجح إليها في التحقق من صدقها، ملتزمًا التقليد الإنجليزي التجريبي الاستقرائي الذي يعود إلى أكسفورد في القرن الثالث عشر، حيث شهدت حركة لا مثيل لها في أوروبا تحت تأثير الإرث العلمي الإسلامي، وسير راسل على هذا الخط التجريبي الاستقرائي ويراها المنهج الذي اكتمل في العالم على يد جاليليو 1564_1642م وعلى يد كبلر يوهانس 1571_1630م والذي بفضلهم زادت المعارف زيادة كبيرة¹.

بالرغم من أن راسل اشتغل بالمنطق والرياضيات وهي علوم عقلية إلا أن راسل ضل وفيًا للتجريبية البريطانية من خلال تبني المبدأ الأساسي المؤمن بأنه لا وجود لشيء في العقل مالم يكن موجودًا أولًا في الحس، بالرغم من أنه اعتمد على أدوات منطقية في تحليل نسبة الواقع لم يتخلى على التجريبية الراديكالية عند ميوه ولوك، دليل ذلك هي اعتبار الخبرة الحية مادة حام لمنهجه التحليلي.

يؤكد راسل على أن هذا المنهج لا يزال هو المنهج الأمثل لعلم الطبيعة، وهو العلم الذي ينبغي نظريًا أن نبسط منه كافة العلوم ولا يرى أية إمكانية لإنكار أن معرفتنا بالوقائع مشادة من بالاستقراء أي بواسطة استلال مقدمات مستمدة من ملاحظات مفردة.

لا يرى راسل أنه يوجد منهج يمكن به البرهنة على شيء أو تفنيده... بل حتى الفلسفة ذاتها ينبغي أن تستلهم منهجها من مناهج العلوم، لا من الأخلاق والدين.

يرى راسل أن الفلسفة ليست مجرد تأملات صوتية أو أخلاقية لذلك جعلها ترتبط بالمنهج العلمي لكي يصل إلى فلسفة أكثر دقة من خلال رؤيته بأن علم الطبيعة مثل الفيزياء يتميز بالبساطة والاختزال

¹ لحضر فريسي: مأزق تأسيس التجريبية المعاصرة: برتراند راسل نموذجًا، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد لمين دباغين، مج 16، ع 02، 2019، ص 139.

وأيضاً بالموضوعية، لكن رغم إيمانه بأهمية الاستقراء إلا أنه لا يقدم براهين خاصة في التقسيم، فالرياضيات أكثر دقة من ذلك، لكن إذ ما قارناه بالمفاهيم الميتافيزيقية فإن الاستقراء يعدم لنا درجة عالية من الاحتمال، كما تحدث عن رفض النزعة... في الفلسفة بإبعاد التصورات الدينية عنها، ومن نصل إلى فلسفة تحليلية مصححة لمنطق العلم لا تكررًا له، من خلال تطهيرها من الشوائب الذاتية (الأخلاق والدين) وصولاً إلى إرساء فلسفة علمية تعتمد على البرهان المنطقي والملاحظة التجريبية.

العلم الوحيد الذي اقترب... هو علم الطبيعة، وقد يساعدنا في تدبر علم الطبيعة على إعطاء صورة محسوسة للوصف المجرد السابق للطريقة العلمية، لقد كشف جاليليو كما رأينا قانون سقوط الأجسام قريباً من سطح الأرض وكشف أنها إذا استبنا مقاومة الهواء تسقط بسرعة مستقيمة ثابتة تتحد فيما بينها جميعاً¹، إن الفيزياء عند راسل لا تكتفي بإعطاء صور بل تتأسس انطلاقاً من نماذج رياضية تحاكي الواقع فمثلاً تصور لنا الفيزياء لمادة كبناء مكون من البروتونات والنيوترونات، نجد أن راسل أراد أن يصل إلى نفس الفكرة ولكن من ناحية منطقية ومن خلال ذلك صور لنا الواقع كبناء من القضايا الذرية المنطقية، كما أن وصول فهم الطبيعة إلى شيء من الكمال يعود إلى استخدام الفيزياء لغة المنطق الرياضي وهي لغة لا نستطيع تأويلها وثانياً إلى بناء العلم ذاته الذي يعتمد على التراكمية، بخلاف الفلسفة القديمة نتيجة افتقارها للمنهج العلمي، إذا رأى راسل للفلسفة أن تتحرر من سيطرة الأوهام وأن تقتدي بعلم الطبيعة في بناء مفهوماها عن العالم من خلال تطبيق عملية التحليل والتركيب تماماً كما في الفيزياء والمادة الطبيعية.

وكخلاصة لهذا الفصل يمكن القول أن ما يثير الانتباه في مسيرة راسل الفكرية هو ذلك المسار التطوري الحاد الذي انتقل خلاله من الإيمان بـ **المثالية الهيجلية** (Hegelia Idealism) في بداياته الأكاديمية إلى التمرد عليها ونبذها جذرياً، ليؤسس بذلك لـ "الثورة البريطانية ضد المثالية" (British revolt against idealism) التي قادها مع صديقه الفيلسوف جورج إدوارد مور (G.E. Moore) في مطلع القرن العشرين

¹ برتراند راسل: النظرة العلمية، ترجمة: عثمان نوية، مكتبة نوبل المدى، الطبعة: الأولى، 2008، ص 52.

هذا التحول الجذري في فكر راسل لم يكن مجرد قطيعة سطحية مع مدرسة فكرية معينة، بل كان أزمة منهجية شاملة كشفت عن تحولات عميقة في نظريته للفلسفة والواقع والمعرفة، دفعته إلى البحث عن أرضية فكرية جديدة، أكثر رسوخاً وقدرة على تقديم إجابات عن أسئلة الفلسفة الكبرى، بعيداً عن "غموض" و"تعقيد" الفلسفة المثالية.

إلى جانب هذه المرجعية الجدلية التي شكلت منعطفاً حاسماً في فكره، تأسست فلسفة راسل على ركائز نظرية صلبة تمثلت في تأثيره العميق بكل من الفيلسوف الألماني جوتلوب فريجه (Gottlob Frege) والمنطقي الإيطالي جوزيبي بيانو (Giuseppe Peano) فقد استقى راسل من فريجه المنطق المسندي الثوري (Predicate Calculus)، ومن بيانو اكتشاف قوة التدوين الرمزي في المنطق الحديث. هذا التلاقح الفكري بين المنطق الرياضي والفلسفة التحليلية كان حاسماً في صياغة مشروع راسل الأكثر طموحاً: "الأصولية المنطقية (Logicism)"، التي ترى أن الرياضيات، في جوهرها العميق، ليست أكثر من فرع من فروع المنطق، وأنه يمكن اختزالها إليه بشكل كامل. أما الجانب الإبستمولوجي في فكر راسل، فقد استقى مرجعيته إلى حد كبير من التجريبية البريطانية، وخاصة من فلسفة ديفيد هيوم (David Hume)، الذي دفعته شكوكه الجذرية راسل إلى صياغة نظريته في المعرفة، والتي بلغت ذروتها فيما عرف بـ "الذرية المنطقية (Logical Atomism)"، وهي النظرية التي تقترض أن العالم يتكون من "وقائع ذرية" بسيطة وغير قابلة للاختزال يمكن التعبير عنها في لغة مثالية تتطابق مع بنية الواقع نفسه.

لم تقف مرجعيات راسل عند حدود الفلسفة الصرفة والمنطق الرياضي، بل امتدت لتشمل مجموعة من العباقرة الذين أسهموا في تشكيل منعطفات حاسمة في مسيرته الفكرية. فقد تعاون بشكل وثيق مع الفيلسوف وعالم الرياضيات ألفريد نورث وايتهيد (A.. Whitehead) ليخرجاً معاً عملاً موسوعياً لا يزال منارة في فلسفة الرياضيات حتى اليوم، ألا وهو كتاب "مبادئ الرياضيات (Principia Mathematica)" في ثلاثة أجزاء

كما لعبت شخصية تلميذه اللاحق **لودفيغ فيتغنشتاين** (Ludwig Wittgenstein) دوراً لا يستهان به في بلورة أفكار راسل المتعلقة باللغة والمنطق، خاصة فيما يتعلق بحدود اللغة وعلاقتها بالعالم.

هذا التأثير المتبادل بين الأستاذ وتلميذه يوضح كيف أن مسيرة راسل الفكرية ظلت مفتوحة على الحوار والنقد، مما جعل منها نموذجاً حياً لفلسفة متجددة باستمرار.

ومع تقدم راسل في العمر، اتسعت دائرة مرجعياته الفكرية لتشمل قضايا اجتماعية وأخلاقية كانت عصية على التحليل المنطقي المجرد. فقد تحول من فيلسوف التحليل الصارم إلى **ناقد اجتماعي** (social critic) وناشط سياسي شرس، شارك في الاحتجاجات المناهضة للحرب النووية، وكان له موقف واضح من الحروب الاستعمارية وتدخل الغرب في حرب فيتنام.

هذا التحول المتأخر في فكر راسل يبرز بعداً جديداً في مرجعياته، وهو **البعد الإنساني والعقلاني** القائم على الإيمان بقدرة العقل البشري، عندما يُستخدم بحرية ونزاهة، على حل مشكلات البشرية، والتخفيف من معاناتها. وقد تجلّى هذا البعد الإنساني بشكل خاص في مواقفه **المثيرة للجدل** في قضايا الأخلاق والجنس والدين، والتي جعلت منه شخصية محبوبة في أوساط الليبراليين والعقلانيين، ومكروهة بشدة في أوساط المحافظين والتمدينين.

الفصل الثاني

الأبعاد المنهجية والصورية للممارسة المنطقية

أ. طبيعة التجربة المنطقية.

1. من المنهج التجريبي إلى التجريب المنطقي.

2. الصدق والمعنى في نظرية التماثل.

3. الكليات والعلاقات.

II. ماهية منطق القضايا وصياغة الرمزية.

1. مفهوم منطق القضايا.

2. الثوابت والروابط المنطقية.

III. البنية المنهجية للتحليل المنطقي.

1. مفهوم التحليل.

2. أدوات التحليل المنطقي.

تمهيد:

لا يمكن فهم فلسفة برتراند راسل، في عمقها ومنهجها وأدواتها، بمعزل عن الممارسة المنطقية التي شكّلت روح مشروعه الفكري بأسره. فلم يكن المنطق عند راسل مجرد أداة تقنية مساعدة أو فرعاً من فروع الفلسفة، بل كان المنهج نفسه، والطريق الملكي لتفكيك المشكلات الفلسفية الموروثة، وتقديم حلول دقيقة لها. بل أكثر من ذلك، فقد اعتبر راسل أن المنطق هو جوهر الفلسفة، وأن المهمة الحقيقية للفيلسوف ليست بناء أنساق ميتافيزيقية شامخة، بل تحليل اللغة والعبارات من أجل كشف البنية المنطقية الكامنة وراءها. وقد تجلت هذه النزعة المنهجية بوضوح في مقولته الشهيرة: "إن العمل الأساسي للفلسفة هو التحليل المنطقي، وليس التوليف الميتافيزيقي."

إن الانتقال إلى الممارسات العلمية للمنهج التحليلي عند راسل يفرض فحص الأبعاد المنهجية والصورية للممارسة المنطقية، فلم يعد المنطق مجرد أداة نظرية منفصلة على الواقع بل تحول من خلال جهود برتراند راسل وجملة من المناطق غيره إلى حقل تجريبي يعتمد فيه على نظريات وعلاقات تربط الخبرة المنطقية بالواقع المادي، باعتبار أن اللغة الطبيعية قاصرة تماماً على مسايرة هذا التطور الحاصل في المنطق ويكون ذلك من خلال استخدام روابط وثوابت دقيقة تضمن اتساق الفكر، ومن هذا المنطلق فإننا نسعى في هذا الفصل عن الكشف عن كيفية الارتباط بين التجربة الحسية والمفاهيم المنطقية.

I. طبيعة التجربة المنطقية:

1. من المنهج التجريبي إلى التجريب المنطقي:

يتمثل الانتقال من المنهج التجريبي إلى التجريب المنطقي عبر استخدام قواعد وعلاقات منطقية أو ما يعرف "بالخبرة المنطقية"¹، سببا في جعل هذه التجربة الحسية أكثر دقة لأن

¹ الخبرة المنطقية: هو مصطلح إيضاح البعد التجريبي لعلم المنطق عند راسل بحيث وضع التجربة أساسا للمعارف وخاصة المتعلقة بالواقع، لينتقل الى المعارف أكثر تعقيدا من خلال المعرفة الوصفية ومن هنا يتضح معنى اعتمادنا للتجريب المنطقي

الحواس وحدها لا تكفي للتسليم بنتيجة واحدة، يعطي لنا راسل مثالا عن الطاولة فعندما ننظر إلى الطاولة من زوايا مختلفة، نلاحظ أنها تبدو مختلفة من كل الزوايا وهذا نعرفه من خلال التجربة الحسية، ولكن هذا الافتراض يعتمد على وجود طاولة حقيقية نرى مظهرها، إذ حاولنا التركيز فقط على ما ندركه حسيا دون افتراضات نجد أننا نرى سلسلة من الصور المرئية التي تتغير تدريجياً أثناء تحركنا نحو الطاولة. ومع ذلك عندما نقول نحن نسير حول الطاولة فإنما نفترضه الطاولة واحدة ثابتة¹.

يوضح لنا راسل من خلال هذا المثال عن سلسلة الصور المرئية ما يعرف بمعطيات الحس إذ أننا لا ندرك الطاولة كيان واحد، بل نستقبل بقعاً لونية تختلف أشكالها مع تغيير موقع رؤيتنا لها، كما أن قول راسل في تفسير السير حول الطاولة ما هو إلا افتراض ذهني يتجاوز الإدراك الحسي البسيط، فيعمل العقل هنا على توحيد وربط سلسلة هذه الصور المرئية المتعددة التي تقدمها الحواس إلى افتراض وجود كيان واحد ثابت وهو الطاولة من خلال هذا المثال يمكننا التسليم بالفكرة القائلة بأن من خلال التجربة الحسية المباشرة للواقع عبر الحواس الخمسة التقليدية يمكننا أن نوفر للعقل مادة خام وصولاً إلى تكوين مفهوم ثابت وواضح، مثل: مفهوم شجرة، طاولة...

يقدم لنا راسل تصوره في بناء معارف عقلية عبر معطيات حسية، من خلال تقسيم المعرفة إلى المعرفة بالمعانية وهي معرفة مباشرة ندرك من خلالها المعطيات الحسية، وإدراك المعارف الجزئية ثانياً تكون أكثر تعقيداً وتخص الكليات وهي المعرفة بالوصف أننا لا نعرف الأشياء بصفاتهم أجزاء منفصلة وينطبق هذا على الأشخاص

تشبيها لمنهج راسل التحليلي للعمليات التجريبية في العلوم الطبيعية، وهو يعكس أيضا انتقال راسل من التجريبية الحسية الى التجريبية التحليلية فلا يمكن ان ينفصل منطق القضايا عن الواقع.

¹ برتراند راسل: معرفتنا بالعالم الخارجي، مصدر سابق، ص56.

أيضًا، أي أننا لا نعرف هؤلاء الأشخاص باعتبارهم جواهر مباشرة، بل من خلال أوصاف منطقية أي ترتبط هذه المعرفة بإدراكنا لها،

ولا يمكننا أن نعرف أي شيء بالوصف فقط دون أن نعرف الشيء معرفة عيانية، يقدم لنا مثالًا عن الرجل ذا القناع الحديدي وأننا ندرك أحكامًا تتعلق به بالرغم من أننا لا نعرفه معرفة مباشرة¹، ذلك أن الوصف لا يشترط معرفة عينية بالشيء ذاته، يكفي انطباق الخصائص عليه وبذلك نستطيع تجاوز حدود حواسنا الضيقة لنعرف أشياء غائبة عنها مكانيًا وزمانيًا.

إن انطلاق راسل كان نتيجة الأزمة الموجودة في المنهج التجريبي فيما يتعلق في اختزال المعرفة في مجرد الانطباعات الحسية، حيث رأى أن هذه الانطباعات تكون متغيرة قابلة للخطأ فعندما أقول إنني (أشعر بالبرودة) لا يعطيني هذا الانطباع الحسي يقينًا عامًا ولا يمكن من خلاله بناء قوانين عامة عن العالم الخارجي، تقودنا هذه الأخيرة إلى بناء معارف عن العالم الخارجي إلى الاستعانة بقوانين منطقية تتسم بالصرامة وإلى مهارات ذهنية، والقدرة على استخدام الاستدلال وتخلييل الحقائق ومن ثم ترتيبها وصولًا إلى استنتاج صحيح، فالنتائج تكون أكثر دقة وتجنب وجود أي تناقض داخلي من أجل ذلك أعاد راسل صياغة مفهوم (الخبرة) من خلال تقسيمات للمعرفة نفسها "أعني بالبيانات الصلبة تلك التي تقاوم التأثير المذيب للتفكير النقدي، وأعني بالبيانات الناعمة تلك التي في ظل عملية التفكير النقدية تصبح في أذهاننا موضع شك إلى حد ما، أصعب البيانات الصلبة تنقسم إلى نوعين: الحقائق الحسية الخاصة، والحقائق العامة للمنطق، كلما تأملنا هذه الأمور أكثر كلما أدركنا ماهي بالضبط، وما يعنيها الشك بشأنها بالضبط كلما أصبحت أكثر يقينًا"².

¹ برتراند راسل: مشكلات الفلسفة، مصدر سابق، ص 57-58.

² برتراند راسل: معرفتنا بالعالم الخارجي، مصدر سابق، ص 51.

يقدم راسل تقسيما للمعطيات التي يتلقاها العقل إلى نوعين أولها البيانات الصلبة المتمثلة في المعطيات اليقينية ولا يمكن للشك المنهجي إزاحتها، هي حقائق تبقى صامدة في العقل، وينتقل للحديث عن البيانات الناعمة وتظهر لنا عكس البيانات الصلبة، فهي تبدو لنا في البداية حقيقية، ولكن بمجرد أن نخضعها للنقد تبدأ في فقدان يقينها وتتمثل أساسا في الاستنتاجات القائمة على العادة، وينتقل أيضا للتفصيل في المعطيات الصلبة إلى حقائق حسية خاصة ويقصد بها المعطيات الحسية بحيث يمكن الشك في وجود الطاولة حسب المثال السابق الذي قدمه راسل، ولكن لا يمكن أن نشك في شعورنا بلمس الطاولة أو رؤية اللون البني، لأنها تجربة مباشرة في الواقع عبر الحواس الخمسة، أما الحقائق العامة للمنطق فتظهر الجانب المنطقي في فلسفة راسل، نعطي مثالا عن قانون الهوية نقول $A = A$ ونعتبرها عملية ضرورية للتفكير ولا يمكن للشك إزاحتها بل أننا كلما شككنا فيها ازدادنا يقينا بها.

إن المعرفة عند راسل تبدأ أولا من خلال الحواس التقليدية لتتم عبرها مباشرة إلى معطيات حسية وصولا إلى العقل تتمثل في الألوان والأصوات والذاكرة، وتتجاوز هذه المعطيات من خلال المعرفة عن طريق الوصف لتصل إلى حقيقة وجود هذا الأجسام، إذا تكون المعطيات الحسية المأخوذة عن طريق المعاينة هي نقطة اتصال بين الواقع والعقل، ولا تتوقف عند مجرد معطيات مبعثرة بل ندرك حقيقة وجودها عبر ترتيبها ووضعها في نسق منطقي منظم لنستطيع معرفة أشياء لم نعيها مباشرة من خلال انطباق مجموع الصفات على الشيء هذا أولا، أما ثانيا فنتمثل في الحوادث التاريخية وتدخل ضمن الخبرة المنطقية ومن هنا تبرز الصبغة التجريبية التي اتسمت بها الفلسفة الواقعية عند راسل.

عند الحديث على المعرفة عند بير ساند راسل فإننا نجده يتمسك بالاستقراء كأساس للعلم بالرغم من الانتقادات والمشكلات التي واجهها حتى من رواد الاستقراء

والتجريبيين في حد ذاتهم من بينهم ومن خلال منظور استقرائيين يقوم راسل البرد معارفنا عن العالم الخارجي إلى الحواس، أنه ليس من تخصص كل من المنطق والرياضيات باعتبارهم علما صوريين لا يزودنا بأي معلومات عن العالم، أي معرفة الأشكال والألوان وغيرها، لا يبقى لنا إلا العلوم التجريبية أساسا للمشاهدات الحسية، وتنقسم هذه المعرفة عنده إلى مستويين مختلفين، في الزمان ثم البساطة والتعقيد، بحيث تأتي في المرتبة الأولى المعرفة بالمعانية كأساس للحقيقة الواقعية من ثم تتأسس المعرفة بالوصف من خلالها، ويذكر أيضا إن المعارف التي تأتينا بالمعانية تكون معارفها ناقصة لأننا لا نستطيع معرفة الأفكار المجردة أو المتعلقة بالماضي لذلك فإنه وعن طريق الوصف تصبح معارفه كاملة، راسل كل الثقة في المعارف المباشرة ويعتبرها بمثابة قضايا أولية لا تمتلك طريقة للتحقق منها لأنها تؤسس في نفسها تحقيق كل القضايا التجريبية الأخرى ماعدا المعارف المتعلقة بالذكرات¹.

2. الصدق والمعنى في نظرية التماثل:

إن فهم دلالة الكلمة مرتبط ارتباطا وثيقا بإدراكنا لصدقها بحيث إنها تشير إلى وقائع خارجية عبر مصطلحات لغوية لذلك يمكننا اعتبار راسل في مرحلته المبكرة يسلم بأن مشكلة الفلسفة تكمن في الخلط بين سوء الفهم اللغوي، وكانت اللغة عنده شرطا أساسيا للوصول إلى الدقة المنطقية كما أن المنطق لديه أصبح يدرس علاقات بين القضايا اللغوية، وكما تحدثنا سابقا عن أهمية المعرفة المباشرة في الربط بين الإدراك والوقائع التجريبية.

يبين راسل تمسكه بنظرية التماثل باعتبارها الأنسب لتفسير صدق القضايا الأساسية مشيرًا إلى إن هناك صورتين رئيسيتين لها تختلفان، في طريقة التعامل مع القضايا لا ترتبط مباشرة بالخبرة، الصورة الأولى تتعلق بالجانب الأستمولوجي فلا يكون للقضية معنى ولا يمكن

¹ لخضر قريشي: مازق تأسيس التجريبية المعاصرة، مرجع سابق، ص 141_142.

التسليم بصدقها إلا إذا كان لها صلة مباشرة بالخبرة الممكنة أما الصورة الثانية هي المنطقية وتبدو مختلفة تماماً إذ يمكن للقضايا التي لا ترتبط بالخبرة أن تظل قابلة للحكم

بالصدق والكذب، ولكن صدقها لا يتوقف على مطابقتها لواقع مشاهد بل إلى مطابقة بنية منطقية داخلية وينتقل راسل لكي يوضح لنا التقارب بينهم، بحيث أن القضية التي تكون صادقة في الصورة الأولى ستأتي صادقة في الصورة الثانية أيضاً، ويتعلق الأمر نفسه في موضوع القضايا الأساسية، ولكن الاختلاف الجوهرى بينهم يظهر عند الحديث عن الثالث المرفوع ففي الصورة المنطقية يعتبر هذا القانون أساسياً لأننا في منطق يحتمل قيمتين أي إما أن تكون القضية صادقة أو كاذبة فلا وجود لحالة ثالثة بينهما في الصورة الإبيستيمولوجية لا يلزم هذا لأن هناك ما لا يمكن التحقق منه تجريبياً، فتبقى معلقة لا توصف بالصدق أو بالكذب حتى تتوفر وسيلة للتحقق منها تجريبياً، ومن هنا يظهر المأزق في إبقاء قانون الثالث المرفوع أي الدخول في ميتافيزيقيته يصعب الدفاع عنها لأنه يفترض وجود حقائق واقعية حتى لو لم نختبرها أو نعرفها ولذلك فضل راسل التخلي عن قانون الثالث المرفوع في مقابل تعريف الصدق في القضايا الإبيستيمولوجية على أنه في إمكان التحقق¹.

إن محاولة الجمع بين الصورة المنطقية الصارمة التي تعتمد في صدقها على روابط ثابتة والصورة الإبيستيمولوجية التي ترى بأن القضية الأساسية تكون صادقة إذا كانت تعبر أو تماثل عن خبرة فعلية حصلت أو يمكن حصولها أي يتوقف صدقها بمدى التحقق التجريبي، انتهى راسل إلى وجود صعوبات تتعلق بالثالث المرفوع والذي قد يؤدي بنا إلى ميتافيزيقية معقدة ومن هنا يظهر الطابع التجريبي عنده من خلال تعريف الصدق بواسطة إمكانية التحقق فتظهر صورتنا للصدق الأولى منطقية تعتمد على البنية الشكلية والثانية عملية تعتمد على العلاقات بالخبرة.

¹ برتراند راسل: بحث في الصدق والمعنى، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، مكتبة الفكر الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت، 2013، ص 429_432.

وبعد انتقال راسل إلى مرحلة متأخرة أكد في بعض آرائه خاصة تلك التي تتعلق بالمعرف المباشرة باعتبارها معرفة ضيقة تقودنا إلى تصديق قضايا لم نعاينها مطلقاً، وفي رأيه أنه عندما نفكك المعارف الوصفية لا بد من أن نجد في القضايا الجزئية معرفة تتعلق

بمعرفتنا المباشرة، وغير ذلك لا يمكننا اعتبار الحوادث التاريخية مثلاً ضمن هذا النوع من المعارف، كما يحاول أيضاً أن يربط بين ما نعبر عنه وبين الواقع الحقيقي الذي نعيشه، باعتبار أن الصدق قائم بذاته وليس مجرد إحساس ذاتي نشعر به عندما نتكلم، فوجود العالم أساساً لا يتوقف على إدراكنا له، فهو موجود حتى لو لم ندركه، أي أن الصدق هو نتيجة مطابقة اعتقاداتنا لواقعة خارجية معينة.

كما يرتبط مفهوم التجربة المنطقية بموضوع الصدق والمعنى ذلك أنهما يحملان نفس المشروع، وهو تطهير الفلسفة من الميتافيزيقية أساساً، فالتجربة من معناها العام: "هي الاختبار الذي يوسع الفكر ويغنيه... أو هي التقدم العقلي الذي تكسبنا إياه الحياة"¹ وتظهر تجليات التجربة أيضاً في محاولة راسل من مطابقة الخبرة الممكنة إلى اللغة التي نعبر بها.

يعالج راسل في كتابه ما وراء الصدق والمعنى في مسألة هامة تتعلق بنظريته عن الصدق أو فكرة (المحقق) ما يقابلها بالإنجليزية (verifier)، وي طرح سؤالاً جوهرياً: ما الذي يجعلنا نقول عن القضية أنها صادقة؟

هل يكون الصدق نتيجة سالمة تركيبها البنوية أم أن الصدق هو نتيجة تطابق هذه القضية مع ما يقابلها في الواقع، ويذهب راسل للميل إلى الطرح الثاني مسلماً بأن القضية الصادقة هي التي تمتلك محقق أي واقعة تجريبية تجلها تطابق الواقع²، فعندما نقول السماء زرقاء فإن هذه القضية تتحقق إذا تطابقت مع واقعها التجريبي أما في حال عدم وجود محقق فإن القضية تبقى معلقة بلا قيمة معرفية لأنه لا يمكن الحكم عليها لا بالصدق ولا بالكذب،

¹ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1982، ص343.

² برتراند راسل: بحث في الصدق والمعنى، مصدر سابق، ص504.

أما بالحديث عن مفهوم الواقعة فلم يحدد راسل تعريفا دقيقا لمعنى واقعة، وما قدمه لنا هو تفسير لما يعنيه بالواقع فيقول في فلسفته الذرية المنطقية: "حين أتحدث عن الواقعة فأنا أعني ذلك الشيء الذي يجعل قضية ما صادقة أو كاذبة فإذا قلت السماء تمطر فإن قولي هذا يكون صادقا في حالة معينة من حالات الطقس وكاذبا في حالات الطقس الأخرى فحالة الطقس التي تجعل قولي صادقا أو كاذبا حسب ما يمكن أن يكون الأمر عليه"¹.

يقدم راسل في محاضرة بعنوان (الكلام والمعنى) يعالج فيها إشكالية جوهرية في فلسفة اللغة يطرح من خلالها العديد من الأسئلة حول العلاقة بين الكلمة التي نكتبها ونكتبها والمعنى المقصود فيها بحيث يسلم بأنه من الصعب جدًا البحث في مثل هذه المسائل، في بداية المحاضرة يبدأ راسل في تفكيك فكرة الكلمة في ذاتها باعتبارها مجموعة وقائع أي من (الناحية المادية) ولها وجه آخر يتعلق بالناحية المعنوية المجردة، ويقسم الكلمة إلى كلمة مكتوبة الأولى هي مجموعة من الحركات والأصوات المتعلقة بالفم والحنجرة أما الثانية فهي سلسلة من الحروف المترابطة، لنسمي (كلمة 1 /x/ وكلمة 2 /y/) إذا ما الذي يجعلنا نميز مجموعة الحركات الصوتية الخاصة بـ x ومجموعة الحركات الخاصة بـ ، ويجب بأن المعنى هو الذي يجعلنا نستطيع التمييز بينهم، ويبين بأن اللغة عادة تتعلمها الجماعة مثلما يتعلم الطفل في بدايات اكتسابه للغة من خلال المحيط الاجتماعي².

إذا المعنى ليس شيئا نصنعه أو نصطلحه داخل إطار الكلمة، بل هو الدور الذي تقوم به الكلمات داخل مجموعة الترابطات اللغوية والاستخدامات الاجتماعية، وإن اختلاف هذه الشبكات الاجتماعية يؤدي بالضرورة إلى اختلاف استخدامات معاني كلمة واحدة وهو ما يفسر تعدد المعاني داخل نفس الكلمة، لذلك بدون فهم هذه الترابطات الاجتماعية لا يمكن فهم معنى كلمة بالمعنى التجريبي المتعارف عليه.

¹ نصيرة جعيداني: نظرية الصدق والمعنى في فلسفة برتراند راسل، مجلة دراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 1، مج 33، ع 01، ديسمبر 2019، ص200.

² برتراند راسل: تحليل العقل، مصدر سابق، ص189_190.

3. الكليات والعلاقات:

يقدم لنا راسل الفرق بين الأسماء التي تدل على جزئيات محددة مثل اسم العلم (سقراط)، وبين الصفات التي تدل على كليات فعندما نقول إن شيئاً لونه (أزرق) فإن هذه الصفة لا تشير إلى بقعة زرقاء معينة بل تشير إلى كلي مشترك يتجسد في بقع زرقاء كثيرة والكلي بالنسبة إليه ليس مجرد اسم ذهني بل له كيان واقعي وهو موجود بذاته يمكننا معاينته مباشرة من خلال التجريد فعندما نرى جزئيات متعددة تشترك في صفة ثابتة واحدة بينهم ننزع منها الكل المشترك، وحسب راسل لا يمكننا إنكار الكلي من الناحية العلمية فالعلم كله قائم على التعميمات الكلية انطلاقاً من صدق الجزئيات¹.

ذلك عندما نضع أشياء مختلفة في مجموعة معينة تشترك في صفة معينة مثل: ثلج، قطن، سحاب...، فإن الصفة التي تشترك بينهم هي صفة ثابتة تشكل فئة منطقية تنطبق عليها، أما الجزئيات فهي معطيات حسية مباشرة نعنيها من خلال التجربة فعندما نقول هذه تفاحة حمراء تمثل جزء أما عندما نقول حمراء فهي صفة كلية تمثل فئة تضم كل الأجزاء، أي إننا نبدأ معرفتنا بالجزئيات باعتبارها معطيات لنا مباشرة عن طريق المعرفة بالمعاينة ومن خلال عملية التجريد نتوصل للكليات، ويشرح لنا راسل أنه يمكننا أن نصل إلى معرفة الكليات الحسية من خلال التجريد، "فمن الجلي أولاً أننا على معرفة عيانية بالكليات كالأبيض والأحمر... أي أننا على معرفة بالصفات التي تتمثل بالحقائق الحسية... وعلى هذا النمط نستطيع أن نصل إلى معرفة عيانية بكليات أخرى مماثلة وكليات هذا النوع هي التي تسمى (صفات محسوسة)"².

وينتقل إلى رفض اختزال الكلي إلى مجرد تصور ذهني أو لفظ لغوي نتيجة التعميمات الاستقرائية ويرى بأن الكليات كيانات مستقلة عن التجربة الحسية هذا من جهة، ومن جهة

¹ برتراند راسل: أصول الرياضيات، مصدر سابق، ص 86_87.

² برتراند راسل: مشكلات الفلسفة، مصدر سابق، ص 109.

أخرى هي معطيات عقلية نعاينها مباشرة مثلما نعاين الجزئيات، ويذهب بالقول بأن اللغة لا تصنع هذه الكليات بل تكشف عنها منتقداً النظرية الكلاسيكية التي ترى بأن الذهن ينتزع صفة عامة من كل الحالات متشابهة، كما لا يمكننا اختزال الكليات إلى آليات عقلية داخلية أو عادات لغوية، بحث إن إدراك الكلي شرط أساسي على التواصل اللغوي لا نتيجة له، فعندما نستخدم لفظاً عاماً فإننا بذلك نكشف عن إدراك مسبق لها، ولا يعني ذلك بأننا نصنعها¹، فالطفل الصغير يدرك تماماً الفرق بين الكرسي والطاوله والفرق بين القط والأسد ولكنه لا يستطيع أن يعبر على هذا لعدم اكتمال البنية اللغوية لديه وما إن يفعل ذلك يقدم لنا الفرق الجوهرى الموجود بين هذه الأشياء.

يحدد راسل موضوع العلائقية بأنها تحكم بين حدين مثل قولنا (أ أكبر من ب) وفي المقابل يضع القضايا الأحادية التي تحكم حد واحد، ويسلم بأن القضايا كثيرة ومتعددة لكن العلاقات بين الحدين هي الأهم لأن كل من المنطق والرياضيات تقوم عليها وفهمها ضروري باعتبار أن المعرفة المنطقية تتبع منها لذلك لا يمكننا أن نكتفي بالقضايا الحولية الأحادية²، ويعطي راسل للعلاقة خاصية أساسية تتمثل في الجهة (sese) أي كيفية ترتيب الحدود فعندما نقول "أ" قبل "ب" ليست نفس العلاقة الموجودة في "ب" قبل "أ" حتى لو كان هناك تطابق في الحدين، فيجب أن يكون مفهوماً تماماً أن هاتين القضيتين مختلفتين ويمكن أن نميز الحد الذي تنتجه العلاقة منه بأنه المتعلق به والحد الذي تنتجه العلاقة إليه بأنه المتعلق، وجاءت العلاقة معنى أساسى لا يقبل التعريف، والعلاقة التي تصل بين "ب" و "أ" كلما كانت "ع" تصل بين "أ" و "ب" نسميها عكس "ع" وندل عليها تبعا (لشرودر) بالرمز "ع" وعلاقة "ع" هي علاقة تقابل.

لدينا قضية (أحمد أكبر من محمد) أو (أحمد > محمد): أحمد علاقة أكبر من محمد، لنفترض أن: أحمد: أ، محمد: م، علاقة: أكبر من: R. إذا: أ R م.

¹ حسن خالد حسن: برتراند راسل وإشكالية الكلي المنطقي "قراءة تحليلية نقدية"، مقالات فلسفية، 2025/05/1، ص 9_10_11.

² برتراند راسل: أصول الرياضيات، مصدر سابق، ص 165.

ردًا على أصحاب الواحدة المثالية يقدم راسل مسلمة التعددية بحيث تقوم بالاعتقاد بأن العالم مكون من عدد كبير من الكيانات المستقلة عن بعضها، لكنها ترتبط بعلاقات خارجية وقد تكون هذه الكيانات أشياء جزئية أو وقائع حيث إن الوجود يرجع في حقيقته إلى هذه العناصر على عكس مذهب الواحدة الذي يرى بأن العالم ثابت متكامل لا يتغير، مما أطلق على نظريته اسم الذرية المنطقية والتي ترجع كل الوقائع المركبة إلى أبسط عناصرها المنطقية، مثل: المحمولات والعلاقات وليس إلى ذرات مادية تعتمد على التحليل المنطقي¹.

نقدم القضية المركبة التالية: الكتاب فوق الطاولة وعند تفكيكها حسب النظرية المنطقية إلى ذرات نتحصل على "مفرد كتاب"، "مفرد مكتب"، والعلاقة هي "فوق" أما الصفة تتمثل في: الكتاب نفسه، لتصبح القضية المركبة من وقائع مستقلة هي ثلاث وقائع الأولى وجود الكتاب، الثانية وجود المكتب، والثالثة علاقة فوق تربط الكتاب بالمكتب.

II. ماهية منطق القضايا وصياغاته الرمزية:

إن دراسة منطق القضايا وصياغته الرمزية عند برتراند راسل لا تقف عند حدود الممارسة الرياضية الصورية المجردة بل تكتسي أبعاداً إبستمولوجية حاسمة في سياق الذرية المنطقية، فالمنطق الصوري هنا هو الأداة المنهجية لتفكيك لغة العلم والواقع حيث تتحول الروابط المنطقية والثوابت من مجرد أدوات وصل رمزية إلى "دالات صدق" تُحدد شروط ارتباط القضايا المركبة بالخبرة التجريبية المباشرة، مما يمنح الفلسفة التحليلية مقياساً دقيقاً لتمييز القضايا المعرفية عن العبارات الميتافيزيقية الخالية من المعنى

1. مفهوم منطق القضايا:

بالعودة إلى الفلسفة التحليلية الإنجليزية في النصف الثاني من القرن 19م، لم تكن مجرد عودة إلى الفكر الإنجليزي الأصيل بل كانت كرد فعل ضد المثالية متجهة نحو التحليلية ذات

¹ سعيداني فروجة: الذرية المنطقية والتحليل عند برتراند راسل، مجلة أنفاس، 2016/7/1، في 10 أبريل. <https://www.afasse.org>

النزعة النقدية بحيث تقدم مبدأ أن المعنى لا يكون ذا دلالة إلا إذا أمكن إرجاعه إلى الملاحظة المادية، وتبنى راسل هذا الموقف فمنطق القضايا عنده لم يتوقف على مجرد الرموز بل تعدى ذلك إلى اعتباره كمنهج نستطيع من خلاله تحويل القضايا العلمية إلى صيغة منطقية قابلة للاستنتاج والتحقق وبالتالي فغن المعرفة العلمية مؤسسة على وضوح لغوي واستدلال دقيق¹.

لطالما ارتبطت دقة العلوم بأدواتها وكانت الرياضيات لفترة ممتدة بمثابة الأداة المثلى لتحقيق هذه الدقة ومع تأسيس مشروع برتراند راسل في أوائل القرن العشرين قلب هذه العلاقة وذهب إلى أن افتراض الرياضيات نفسها لا تستند إلى بديهيات مستقلة، ويمكن إرجاعها إلى مبادئ منطقية بحتة ومن هنا لم يعد المنطق الرمزي مجرد أداة للرياضيات بل أصبح الأساس الذي تبنى عليه دقة العلوم كلها، بحيث إن ما يحسب لراسل هو تجاوز لعيوب المنطق التقليدي عبر استخدام الرموز بدلا من اللغة الطبيعية، لأنها " تتصف بعيين متقابلين فغالبا ما تكون للكلمة الواحدة عدة دلالات وتكون لعدة كلمات الدلالة نفسها ومن هنا تظهر حاجة العلوم والفلسفة إلى تكييف لغة ملائمة توخيا للدقة وطلبا للتقدم، عن هذه الدقة المتوخاة تستدعي إدخال تعديلات على اللغة إما على المستوى التركيب أو على مستوى المفردات، ويؤكد راسل على أن المسألة لا تخص العلوم وحدها بل الفلسفة كذلك"².

يعود الدافع الأساسي لتبني راسل إلى نظام الترميز واللغة المنطقية في عيوب اللغة الطبيعية من خلال تعدد الدلالات والترادف، مما شكل لنا غموضا يعيق أولا وصف بنية العالم، وثانيا العجز عن الوصول إلى الدق المطلوبة في العلوم والفلسفة، " وإذا كان المنطق الرياضي قد لعب دورا كبيرا في تطوير فلسفة القرن العشرين ذات النزاع العقلاني والمعرفي فإن فلسفة العلم على الخصوص هي التي أحرزت تقدما تقنيا بفضلها"³.

¹ مصطفى بلبولة: برتراند راسل واللغة الكاملة منطقيا، مجلة أبعاد، عدد خاص، جانفي 2014، ص 56_57.

² مصطفى بلبولة: برتراند راسل واللغة الكاملة منطقيا، المرجع السابق، ص 65-66.

³ طريق الخولي يماني: فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هنداي، (ب، ط)، القاهرة، 2012، ص 248.

إن المنطق الرمزي لم يقتصر على دراسات مشكلات الفلسفة فقط، ويتجلى بوضوح أكثر في مجال فلسفة العلم وبالعودة إلى منطق القضايا عند راسل نجد اهتمامه بفلسفة العلم من خلال الانتقال من مجرد التأملات حول المنهج بصفة عامة إلى التحليل المنطقي والتقني للبنية الواقعية للعالم للنظريات العلمية، أما بالحديث على منطق القضايا عند برتراند راسل فنجد أنه يهتم بدراسة العلاقات والروابط بين القضايا دون الدخول في محمولاتها أو بنيتها الداخلية، بهدف استنتاج قضايا جديدة صحيحة بحيث إن ما يهم هو قيمة الصدق أي إعطاء قيمة صورتين هوما الصدق (1) والكذب (2) ويهتم أيضا بدراسة هذه القيمة عند ربط القضايا ببعضها.

ويختلف منطق القضايا أو حساب القضايا على نظرية الأصناف، الأول يتعامل مع القضايا كوحدات بعيدا عن محمولاتها، أما الثاني فيتعامل مع مجموعات أفراد وما مكن راسل من صياغة الرياضيات كلها داخل نسق منطقي واحد¹، من خلال ما سبق نستنتج أن منطق القضايا عند راسل يهتم بالوحدة الأساسية للقضية من خلال ضبط شكل الاستدلال العلمي، بحيث يضمن لنا الانتقال من المقدمات لنتائج سليمة منطقيا، أما حساب الأصناف فترجع القضايا إلى مجموعات وأفراد.

2. الثوابت والروابط المنطقية:

بداية نتحدث على عامل النفي باعتباره من أبسط العمليات المنطقية في الشكل $/ \sim p /$ أي: p ليست صحيحة، "إن الأسلوب المعتاد في نفي العبارات في اللغة العادية في إدخال ليس أو أي أداة نافية على الفعل الرئيس...² التي تكون فيها العبارة من المناسبة في المنطق

¹ روبير بلانشي: المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ترجمة: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ص 437.

2 Whitehead, A.. & Russell, B., Principia Mathematica_Vol. I, 2d ed, Reprint 1963, Cambridge University Press, United Kingdom, p 93.

أن نستعمل رمزا واحدا يدل على النفي يكون في بداية العبارة ($\sim$) ندخله على العبارة برمتها هكذا تعني (جونز غائب)، (جونز ليس غائبا)¹.

يمكننا تحديد الفارق الجوهرى بدقة بين التركيب اللغوي في اللغات الطبيعية وبين البنية المنطقية في المنطق الصوري أي أنه عندما ننفي عبارة في اللغة العادية يندمج حرف النفي داخل الجملة ذاتها أما في المثال السابق فيعامل النفي كأداة خارجية ومن ثم يتم توزيعها على القضية لتتغير قيمة صدقها، والسبب الرئيسي في ذلك هو الحفاظ على الدقة فعندما نقول ($p \sim q$) فإن النفي يخص (p) وحدها، وعندما نضع العبارة $\{ \sim(p \cdot q) \}$ فإن النفي هنا خارجي.

q	$q \sim$
1	0
0	1

لا ينبغي النظر إلى النفي كأداة لغوية مجردة بل كأداة لمعرفة في التجربة الحسية راسل يرى أن العالم يتكون من وقائع إيجابية والنفي هو حكم معرفي يصدره العقل عند عدم مطابقة القضية للواقع المعطى بالاتصال المباشر، كما أنه الأداة المنطقية الأولى المستعملة لاستبعاد القضايا الميتافيزيقية الزائفة عبر نفي وجود كياناتها في عالم الواقع المعاش

الفصل والوصل:

يأتي تعريف رابط الوصل في منطق القضايا بأنه الأداة التي تربط بين قضيتين بحيث تكون النتيجة صادقة إذا وفقط إذا صدق القضيتين معا، وتكون كاذبة إذا وفقط إذا كذبت إحداها على الأقل ولرابط الوصل خصائص عديدة تتمثل أساسا في خاصية التبديل أي أنه عندما نغير ترتيب القضيتين المركبتين لا يغير في قيمة صدق النتيجة، تأتي في شكل $(p \wedge q)$ ².

¹ ويلارد فان أورمان كواين: طرائق المنطق، تر: يوسف تيبس، دار المعنى، ط1، المملكة العربية السعودية، 2023، ص23.

² سعيد بنتاجر: مدخل الى علم المنطق، مراجعة الطيب بوعزة، مركز نهوض، ط1، 2024، بيروت، لبنان، ص198.

لدينا: a قضية 1، b قضية 2، c قضية 3

إذا: (p.q) تكافئ منطقياً (q.p)

يأتي جدول الصدق كالتالي:

		$p \wedge q$
1	1	1
0	0	1
1	0	0
0	0	0

يمثل هذا الرابط شرط التلازم التجريبي المتزامن فالقضية المركبة بالوصل تشتمل على دالة صدق مشروطة بالتحقق من واقعيتين ذريتين معاً في الخبرة الحسية إذا عجزنا عن التحقق من صدق إحدى الواقعتين تجريبياً تنهار القيمة المعرفية للقضية بأكملها.

رابط الفصل أو أداة الانفصال في منطق القضايا، يكون الفصل صادقاً إذا وفقط إذا صدقت واحدة من القضيتين المفصولتين على الأقل، ويكون كاذباً إذا وفقط إذا كذبت القضيتان معاً¹، ويعرف برتراندراسل الفصل: "إذا كانت p أو q قضيتان فإننا نعبر عنهما بـ q/ أو q/ أي إما p صحيحة أو q صحيحة لا تكون البدائل متافية ويتم تمثيلها رمزياً بـ $p \vee q$ ويسمى الفصل أو المجموع المنطقي لـ p و q.

ويأتي جدول الصدق فيه كالتالي:

		$p \vee q$
1	1	1
0	1	1
1	1	0
0	0	0

¹ سعيد بنتاجر، المرجع السابق، ص 199.

يعبر هذا الرابط إبستمولوجيا عن الاحتمالية المعرفية وسعة الخبرة التجريبية فهو يحدد شروط الصدق البديلة للوقائع الملاحظة بحيث يفتح المجال أمام الباحث لتوقع إحدى الواقعتين في عالم المعطيات الحسية للحكم على القضية بالمعنى والصدق رمز ب/ $p \vee q$ وتعني أن القضية صحيحة إذا كان الطرفين صادقين معا أو إحداهما صادقة والأخرى كاذبة، لم يضع راسل الفصل كرمز أساسي واكتفى بتعريفه من خلال رمز النفي والاستلزام.

بناءً على ذلك يتضح أن الرموز والثوابت المنطقية في الذرية المنطقية ليست مجرد دوال رياضية صامتة بل هي أدوات إبستمولوجية لتنظيم شروط الصدق التجريبي فكل رابط منطقي يمثل آلية عقلية تحدد كيفية تركيب أو تفكيك الذرات المنطقية وعلاقتها بالوقائع الخارجية مما يجعل من منطق القضايا بمثابة شبكة معيارية نختر من خلالها مدى ارتباط القضايا المعقدة بالخبرة الحسية المباشرة واستبعاد كل ما يخرج عن هذه الشبكة المنطقية التجريبية كأطروحات الميتافيزيقا الكلاسيكية.

III. البنية المنهجية للتحليل المنطقي:

1. مفهوم التحليل:

في اللاتينية Aalytia، التحليل عكس التركيب. وهو إرجاع الكل إلى أجزائه، فإذا كان الشيء المحلل واقعيًا نسمي التحليل حقيقيًا أو طبيعيًا، وإذا كان ذهنيًا نسمي التحليل خياليًا¹. أي أنه إذا أردنا فهم الكل المعقد كان من اللازم تفكيكه إلى أجزاء لا تقبل التحليل.

"وينقسم التحليل إلى نوعين أوله تجريبي وآخر عقلي، أما التحليل التجريبي هو المعول عليه في الطريقة التجريبية... والتحليل العقلي والرياضي فهو أن تؤلف سلسلة من القضايا أولها القضية المراد إثباتها، وآخرها القضية المعلومة"² إذا كان كل تحليل هو تفكيك.

¹ جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982، ص 254.

² المرجع نفسه، ص 255.

يرى راسل بأن التحليل هو الطريقة المثلى لفهم الكل المعقد، وللتعامل مع المسائل الميتافيزيقي. بحيث نقد فلسفته الذرية المنطقية بداية واضحة وتأسيسية للفلسفة التحليلية، بحيث يقر بأن لفهم طبيعة موضوع مائدرسه علينا أن نعتد على التحليل ونواصل فيه إلى غاية الوصول إلى عناصر لا تقبل التحليل أكثر وهي ما يسميها ذرية منطقية...كمؤسس للفكر التحليلي بعد "جورج مور" بحيث يشتركان في اعتبار التحليل موضوعا للفلسفة ولكن راسل تتجاوزته عند ربطه للتحليل بالرياضيات هما أسس لما يعرف بالتحليل المنطقي، مؤكداً بأن المنطق هو صميم العمل الفلسفي.¹

من خلال ما سبق، يمكننا أن نعطي تعريفاً للتحليل عند راسل على أنه المنهج الأساسي في الفلسفة ويقوم على تفكيك الأفكار والمركبات المعقدة إلى عناصرها الأولية البسيطة والتي لا تقبل التحليل أكثر وهي ما يسميها ذرات منطقية، ويمكننا من خلاله فتح الطريق لاكتشاف معارف أخرى جديدة.

ويأتي التحليل عند "برتراندر راسل" أساساً في الكشف عن ماهية النظريات الميتافيزيقية التي هيمنت على الفلسفة الانجليزية لا سيما النزعة المثالية التي دعا إليها برادلي والحركات الهيكلية الجديدة التي تأثرت بنظريات هيغل وعلى خلاف الهيغلية التي تؤكد على وجود حقيقة كلية واحدة تعتمد على العلاقات الشاملة بين جميع الأجزاء، تأسست الفلسفة التحليلية ذات الصبغة المنطقية مقررًا بأن منهج الحقيقة يمكن لها أن تكون معزولة ومستقلة كلما فهمت بشكل أدق. كما أن منهج التحليل الذي تبناه مصمم أساساً لمعالجة المشكلات الفلسفية التي شغلت الفكر والذي يدعو إلى الامتناع عن افتراض كيانات غير ضرورية، كما أن مهمة الفلسفة لديه ليست هي الطريقة التقليدية بل هدفها هو تحليل الكون على الطريقة العلمية.²

¹ شريف حسني خليل: منهج التحليل الفلسفي بين هدم الميتافيزيقا وارساء اللغة العلمية.

² شريف حني خليل: الفلسفة التحليلية وبنية التحليل المنطقي "راسل نموذجاً"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، جامعة بن بوعلي، الشلف، مج 12، ع 02، 2020، ص 250.

يعتبر راسل التحليل على أنه عملية منهجية تقوم على الانتقال من "الكل" إلى أحد أجزائه مع ضمان صدق المفهوم أو التعريف الأساسي، ويشترط في كون تعريف المركب (w) صادقا دائما إذا كان الجزء p صادقا ويتحدث على مسألة طرحها الفلاسفة القدماء وهي اعتبار أن التحليل مجرد تزييف وابتعاد عن الحقيقة الأولية، وأنه إذا ما عالجتنا الجزء بمعزل عن الكل لا يمكننا فهمه وبالتالي فإن التحليل في هذه الحالة يصبح مجرد تزييف. كما يميز بين نوعين من التحليل: الأول هو تحليل فراغي يعالج الأجسام المادية عبر تفكيكها

إلى أجزاء مكانية، والثاني هو تحليل منطقي والذي يخص الأفكار والمفاهيم عبر تفكيكها إلى عناصرها الأولية، ومن خلاله يؤكد أن العلاقة بين هذين التحليلين هي ضرورية لاكتمال العملية التحليلية، وبذلك لزاما علينا عدم قيام التحليل على العشوائية أو من خلال عزله عن سياقه الأصلي.¹

أي أن التحليل يقوم على ربط الكل بالجزء من خلال رد الكل (w) إلى جزء (p) ويشترط صدق (w) إذا كان p صادقا. أي الحفاظ على صدق التعريف الأصلي.

ينقد راسل من يرون أن الجمل مكونة من كلمات محسوبة فقط، أي أنها متضمنة لكلمات مرتبة بواسطة حروف مرتبة ولا يمكننا أن نعبر على الفكر إلا من خلال اللغة. "يجب أن تحتوي لغتنا على أسماء أعلام لكل الأشياء المدركة والتي يتم إدراكها كوحدات عندما ندرك شكلا دون أن نحله لابد وأن نكون قادرين على تسميته على سبيل المثال أن نقول "هذا صليب معقوف"، ولكن في الهندسة لدينا شكل مكون من عدد من الخطوط كل منها يمكن ملاحظته متفردا ويبدو أننا لا نحتاج إلى اسم علم الشكل كله، فلو أن هناك شيئا مثل حكم التحليل فسوف يحتاج إلى اسم علم للكل وأسماء أعلام أخرى لأجزائه.²

¹ براتراند راسل: ما وراء المعنى والحقيقة، مصدر سابق، ص 312-313.

² المصدر نفسه، ص 314.

التحليل عند راسل ينتهي عندما يسمى بالذرات المنطقية والتي تعتبر أبسط العناصر التي لا تتجزأ أي أن الأسماء للأشياء التي ندركها هي هذه الذرات أي أنه لا يمكننا أن نحلل قضية مركبة إلا إذا امتلكنها أولاً أسماء للمفردات البسيطة التي تتركب منها، ومن هنا تظهر رغبة براتراند راسل في الوصول إلى تحليل سليم رافضاً التحليل العشوائية وعند إدراك الأشياء نبدأ أولاً من الحس أي أنه حسب راسل فإن التحليل يزودنا بالمادة الخام لذلك لا بد لنا من أن نعطي تسميات دقيقة للمعطيات الحسية الأولية لأنها تمثل بمثابة خطوة أولية وأساسية في عملية التحليل المنطقي، وإذا حدث خطأ في هذه المرحلة فسيكون ناتجاً عن سوء فهم المركب الأولي.

2. أدوات التحليل المنطقي:

يقدم لنا راسل فلسفته فاعتبارها فلسفة تحليلية بامتياز، من خلال استخدام منهج التحليل المنطقي باستخدام رموز وعلاقات منطقية. لذلك فإن أول أداة استعان بها هي الرموز من أجل تجاوز اللغة التقليدية وعيوبها لأنها لا تحقق لنا الدقة والصرامة المطلوبة.

بداية، يؤسس راسل منهجه التحليلي على ثلاث أدوات منطقية متكاملة تتمثل في "التعريف" الاختزال، أو الرد، التبرير". بحيث يجعل منها صارمة لنستطيع الكشف عن بنية القضايا الفلسفية وتفكيكها إلى عناصرها الأولية لأجل تجاوز غموض اللغة والوصول إلى أساس يقيني للمعرفة يوظف التعريف كأداة أولية لمعالجة المشكلات اللفظية أي تفكيك اللفظ الغامض إلى لفظ أبسط منه وأوضح، وتكون هذه المشكلة ناتجة عن إبهام الألفاظ وتعدد دلالاتها وبالتالي يصعب تحديد معنى معين لكل لفظ، لذلك يقوم بتفكيك اللفظ المعقد إلى لفظ أبسط ليسهل فهمه، أو الاختزال أو الرد فيمثل جوهر التحليل الذري، ومن خلاله نستطيع الانتقال من المستوى اللفظي إلى المستوى الوجداني، والتبرير فيشكل الضابط النهائي لصحة عملية التحليل فلا يكتفي بمجرد التفكيك فقط بل ينبغي إثبات أن صدق القضية المركبة متوقف

توقفاً كلياً على صدق ذراتها المنطقية الأولية ، فعند الانتقال من المعلوم الغامض إلى المعلوم الواضح لا يكتمل إلا إذا ضمنا أن علاقة الكل بالجزء هي علاقة استتباع منطقي.¹

وتتقاطع هذه الأدوات الثلاثة في غاية واحدة وهي القضاء على المشكلات الزائفة بحيث إن العديد من المشكلات إذا ما حللناها سنجد بأنها مجرد غموض لغوي، وتتمثل في القضايا الفلسفية التي تبدو عميقة ومعقدة لكنها في الحقيقة ناتجة عن سوء استخدام اللغة من خلال توظيف ألفاظ عامة ومجردة لا تحيل إلى لأي واقعة مدركة، فعندما نخضعها لهذه الأدوات التحليلية ومع الاستعانة بالرموز يتضح لنا أنها مجرد كائنات زائفة لا وجود لمقابل لها في الواقع الحسي ومن ثم نستطيع مباشرة إسقاطها من دائرة المعارف العلمية ومن هنا يظهر لنا البعد النقدي لأدوات التحليل عند راسل، فهي ليست مجرد وسيلة لفهم بل يتجه من خلاله مباشرة إلى هدم الميتافيزيقا التقليدية والتي كانت مبنية على ألفاظ خاطئة مثل الفلسفات المثالية نجد "مصطلح المطلق، والروح والجوهر" إذ أنه لا يمكننا ربطها بمعطى حسي أولي.

وفي الختام إن التحليل بوجه خاص يقوم من الانتقال من الكل إلى الجزء مع الحفاظ على صدق التعريف ويتم انجاز ذلك عبر استخدام جملة من الأدوات المتكاملة لتبسيط الألفاظ الغامضة والوصول إلى ذرات لا تقبل التجزئة أكثر ومن ثم تقديم إثبات الكل من خلال صدق الجزء.

¹ حسني خليل: الفلسفة التحليلية وبنية التحليل المنطقي، مرجع سابق، ص 251-252.

الفصل الثالث

الامتدادات التطبيقية للمنهج المنطقي "من خلال تقويض الميتافيزيقا"

- I. استبعاد الميتافيزيقا من اللغة .
- II. التأسيس لفلسفة علمية .
- III. نقد الدين والأخلاق والتصوف

تمهيد:

بعد استعراضنا للبنية المنهجية للتحليل المنطقي عند براتراند راسل، ننتقل إلى الحديث عن التطبيقات العلمية الفعلية لهذا المنهج وتتمثل أهمها في موقفه حول الميتافيزيقا التقليدية ويتجاوز معالجته لها من الناحية الوجودية إلى المشكلة المرتبط بالناحية اللغوية، ويستبدل معها العديد من المفاهيم التقليدية المتضمنة في الفلسفات السابقة وصولاً إلى فلسفة علمية محصنة من الأخطاء ليطبق هذا المنهج أيضاً على العديد من القضايا الاجتماعية أهمها الدين والأخلاق باعتبارها نموذج واضح للقضايا التي قيمة صدقها مجهولة.

فلم يكن راسل مجرد منطقي بارع يقضي وقته في صياغة الرموز وتحليل التراكيب الصورية؛ بل كان فيلسوفاً قاتلاً للميتافيزيقا بامتياز، استخدم المنطق كأداة لإعلان موت كثير من الأسئلة الميتافيزيقية التقليدية، لا بالإجابة عليها، بل بكشف زيفها وتفكيك ادعاءاتها.

وقف راسل منذ بداياته الفكرية، موقفاً معادياً لأشكال الميتافيزيقا التي كانت سائدة في عصره، وخاصة المثالية الهيجلية التي سيطرت على المشهد الفلسفي البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر، بزعامة فلاسفة مثل فرانسيس هبررت برادلي وتوماس هيل غرين. هذه الميتافيزيقا، برأي راسل، كانت تمارس ضرباً من "شعوذة اللغة" (linguistic sorcery)، حيث تستخدم كلمات غامضة ومجردة مثل "الروح المطلق"، و"الكل المتضمن"، و"الوحدة العضوية"، و"اللامتناهي الفعلي"، وكأنها تشير إلى حقائق عميقة، بينما هي في حقيقة الأمر مجرد تشكيلات لفظية فارغة لا تحيل إلى أي معنى قابل للتحليل أو التحقق. إن مهمة الفلسفة، كما رآها راسل، ليست بناء أنساق ميتافيزيقية مترامية الأطراف، بل تطهير اللغة من هذه الأوهام، وإظهار أن معظم القضايا الميتافيزيقية الكبرى هي، في جوهرها، إما قضايا كاذبة (pseudo-propositios) لا يمكن التحقق من صدقها أو كذبها، أو قضايا هي في واقعها مسائل منطقية لغوية ألبستها الصياغة السطحية ثوباً عميقاً لا تستحقه.

لم يتوقف راسل في ممارسته التقديرية عند حدود نقد الميتافيزيقا الهيغلية، بل امتدت إلى الميتافيزيقا التقليدية في صورها الكلاسيكية، من أفلاطون وأرسطو إلى ديكارت ولايبنتز وسبينوزا، كما خاضت أيضا في مجالات في مجالات معرفية أخرى، منها فلسفة الرياضيات وفلسفة الفيزياء وفلسفة العقل.

ولعل أكثر تطبيقات راسل جرأة كانت في فلسفة الدين والأخلاق، حيث استخدم المنهج المنطقي لتفكيك البراهين التقليدية على وجود الله (كالبرهان الأنطولوجي والكوني والغائي)، وللطعن في الموضوعية المطلقة للأحكام الأخلاقية.

1. استبعاد الميتافيزيقيا من اللغة:

يعتبر المنطق بالنسبة للغة حجرا أساسيا ترتكز عليه، وفي الحقيقة إن هذا الأمر كان منذ أرسطو من خلال التعريفات المنطقية باعتباره ينظم قوانين الفكر. بحيث أن الفكر لا يمكن له أن يكون وينمو بمعزل عن اللغة، ذلك أن هذه القوانين لا تدرك ككيان مستقل مثل الميتافيزيقا أو مثل باقي فروع العلوم الاجتماعية الأخرى بل يدرسها من خلال ما تظهر في اللغة، يوضح بيرس بأن اللغة هي جوهر التفكير وهي الموضوع الأساسي للمنطق والمادة الخام التي يعالجها، لذلك فإن المنطق يأتي لدراسة العلاقات الموجودة بين اللغة والفكر أولا والواقع ثانيا.¹

أما عند برتراند اعتمد منهجه التحليل المنطقي، وتوصل إلى أن سوء استخدامنا للغة أو تعاملنا معها بنوع من السطحية والسذاجة يؤدي إلى نشأة مفاهيم ميتافيزيقية لا علاقة لها بالواقع، إذا ومن خلال ما تناولناه سابقا نجد أن تركيز راسل كان منصب على الوقائع التجريبية وارتباطها لديه بالقضايا المنطقية، لذلك عن طريق التحليل لابد أن نصل إلى عبارات تصف العالم، أما العبارات التي لا نجد لها مقابل يتم تحويلها إلى دائرة "القضايا الفارغة" تبدأ بجمل معقدة وصولا إلى قضايا ذرية تطابق الواقع التجريبي.

¹ يميني طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1978، ص 253.

هناك مشكلة أخرى متعلقة بالتشابه بين الجمل من ناحية البنية النحوية، لكنها تختلف عنها في الجانب المنطقي يؤدي ذلك إلى الوقوع في أخطاء فلسفية، بحيث ترتبت هذه الأخطاء عن لغة تحمل شبه القضايا وشبه الجمل وهي لا تعبر عن كيانات واقعية بل تعبر عن كيانات وهمية، ويتحدث راسل على أن الكلمات ليست أشياء ثابتة بل متغيرة يتغير السياق التي توضع فيه، لذلك لا يمكننا الحكم على كل الكلمات ظاهريا وينطبق الأمر على الجمل أيضا.¹

وباعتبار راسل من المؤمنين بالمعرفة التجريبية، مثله مثل أنصار التحليلية الانجليزية نجده يحذو حذوها في موقفه اتجاه الميتافيزيقا، فلم يعطي أحكاما تتعلق بالوجود العام والخير والجمال باعتبار أن العبارات التي تدرس هذا النوع من القضايا تكون فارغة من المعنى بسبب عجزنا عن التحقق من صدقها ووجودها الفعلي، فلا وجود لأشياء تطابقها في الواقع، إذ أن الحكم عليها بالصدق أو الكذب هو حكم خاطئ من الناحية المنطقية.²

تتألف المعارف المتعلقة بالعام من حقائق ذرية مثال ذلك كلمة "رجل" و "غرفة"، فانها تعبر عن كلمات موجودة في الواقع. أي نعتبرها حقائق ذرية بسيطة وباستخدام رابطة بينهما نقول "الرجل داخل الغرفة"، مثلما تناولنا ذلك سابقا في الحديث على معنى القضية وصدقها انطلاقا من مطابقة الفكرة لدينا للواقع الحقيقي، ومن هنا انتقل اهتمام راسل من اللغة إلى الجانب الميتافيزيقي بحيث اعتبرها كعائق لا يمكن للمنطق أن يدرسها، وبالتالي ما كان له من حل غير إزاحتها فعندما نقول: "أن مصير المجرمين هو النار" لا يمكننا أن نتحقق تجريبيًا من هذه العبارة لأن كلمة نار نقصد بها جهنم وهي غير موجودة في الواقع ولا تطابق أي قضية ذرية في الواقع وبالتالي لا يمكننا أن نناقشها أصلا ومن هنا قام راسل برد هذا النوع من القضايا إلى دائرة القضايا غير المهمة بالنسبة له لأنه لا يوجد أي قانون منطقي أو تجريبي نتحقق به منها فلا يمكننا أن نحكم على صدقها أو كذبها.

¹ شريف حسني خليل: مرجع سابق، ص 152.

² بن شريف بوعلام: موقف راسل العدائي من الفلسفة المثالية، مرجع سابق، ص 240.

يفتح راسل هجومه على الميتافيزيقا التقليدية من خلال الفكرة القائلة بأن الميتافيزيقيين يبنون نظريات ضخمة يسلمون بها عن " الكل " و " المطلق " و " الوجود " دون تحديد دقة الألفاظ ومعناها في الاستخدام ويشبه راسل هؤلاء بأنهم يبنون قصر على رمل إذ إن أساس كلامهم ألفاظ مجردة لا تحيل إلى معطيات حسية واضحة فعندما نذكر موضوع الجوهر عند أرسطو والموناد عند " ليبتز " فإنها ألفاظ يظن الميتافيزيقي بأنها حقيقة لكنها في الواقع تعبر عن أسماء فارغة لا وجود لمرجع حسي مدرك لها في الواقع.¹

وراسل يقول بأن معظم الأخطاء التي نقع فيها عندما نؤسس لمفاهيم هو بسبب استخدام نفس اللفظ في سياقات مختلفة دون تمييز فتتولد لدينا ما يسميها مشكلات زائفة.

حسب راسل فإنه لا يمكننا قول الوجود على أنه صفة واحدة لأن كل الصفات ليست صفة واحدة بل رمز اجتمع تحته بقية الرموز فالمشكلة التي يقع فيها الميتافيزيقي في فخ التعامل مع اللغة ويعتبر أن الوجود صفة موحدة تجمع كل الموجودات دفعة واحدة أما الخطأ الثاني هو استخدام لفظ الوجود كعبارة قيمة مجهول لأن عبارة الوجود بالنسبة للتحليل المنطقي عبارة فارغة من المعنى لكن الخطأ الذي يقع فيه هو استخدام الوجود دون تحديد القيمة.² فالدالة القضية عند راسل تحتاج قيمة لكي يستطيع الحكم عليها بالصدق أو الكذب مثلاً نقول: "س حيوان" ونضع "س أسد" ننقل إلى القول بأن "س حيوان" وهي قضية لها معنى ونستطيع التحقق منها.

ونعود إلى مثال الوجود فلو قال فيلسوف مثالي الوجود واحد فيكفيك للرد عليه أن تحلل له هذه العبارة نفسها تحليلاً يكشف عن حقيقة تركيبها وعندئذ سيرى معك بأنها لا تحمل أي معنى وبالتالي هي لا تعبر عن نظرية كائنة ما كانت لأن دالة القضية "س" تحتاج إلى قيمة من الأشياء التي تعد بالواحد أعني تحتاج إلى شيء من نطاق الأفراد.³

¹ زكي نجيب محمود: موقف الميتافيزيقا، مرجع سابق، ص 171.

² المرجع نفسه، ص 177.

³ نفسه، ص 178.

إذ أن استبعاد الميتافيزيقا التأملية لا يكون بمناقشة نظرياتها لأن ليست هناك قيمة حقيقية أو نظرية تناقش بل تكون من خلال تحليل عباراتها لبيان خلوها من أي معنى تتضمنه فلا ترد على القائلين بوجود الميتافيزيقا لأن الفكرة الأساسية حولها خالية من المعنى فاستخدام راسل لدالة قضية قيمة صدقها مجهول جعله يستبعد كل الميتافيزيقا دفعة واحدة.

II. التأسيس للفلسفة العلمية:

إن الفلسفة العلمية عند راسل هي فلسفة تحليلية بامتياز تقوم على أساس علمي ومنطقي، بحيث إن مهمة الفيلسوف لديه هي مشابهة إلى حد بعيد لمهمة العالم من خلال التجربة الحسية، وربط علاقات مع الروابط والثوابت المنطقية بهدف وصف بنية العالم وصفا دقيقا ومن خلال ما سبق يمكننا استخلاص أن فلسفة راسل العلمية هي مشروع تحليلي يقوم على تطبيق أدوات المنطق الرمزي والابتعاد على اللغة التقليدية وتخليص الفلسفة من الشوائب والمفاهيم الفارقة من المعنى، من خلال ربط الرمز اللغوي بالواقع الحسي وأن الواقع أساسا يقوم على جملة من "الوقائع البسيطة" وأنه يمكننا تحليلها إلى ذرات منطقية وتشير كل ذرة إلى شيء مادي يمكن معاينته مباشرة.

"إن دور المنطق في الفلسفة كما سأوضح لاحقا، ذو أهمية كبيرة لكني لا أعتقد دوره هو نفسه كما في التقليد الكلاسيكي... فالدور الحقيقي للمنطق في رأيي هو عكس ذلك تماما فعند تطبيقه على مسائل الخبرة يكون المنطق تحليلنا وليس بنائها ويظهر إمكانية وجود بدائل غير موقعة بدءا من البدائل التي تبدو ممكنة في البداية."¹

يبين لنا راسل التحول الجذري لدور المنطق في فلسفته العلمية مقارنة بالفلسفة التقليدية فالتصور القديم يستخدم المنطق كأداة بناء أي بناء أنساق فكرية متعددة ومن ثم البرهنة على صحة قضية واحدة أي أن الفيلسوف أو العالم يبدأ من مبادئ عقلية عامة ثم يستخدم القياس المنطقي لابتعاد على الاحتمالات والابتعاد على احتمال واحد على أنه وصل للعالم الواقعي

¹ برتراند راسل: معرفتنا بالعالم الخارجي، مصدر سابق، ص 08.

يتجاوز راسل هذه الوصفة إلى جعل الفلسفة تحليلاً يبعدها من الشوائب وإزالة الغموض والتناقض اللغوي فيتحول دور المنطق فيها تحليلاً ونقدياً لا بنائياً فقط ومن هناك لا يقدم تصوراً وحيداً للعالم بل يفتح المجال لبدائل متعددة ممكنة. إن هذا التحول في وظيفة المنطق هو جوهر التأسيس للفلسفة العلمية عند راسل.

يقول برتراند راسل: "إن منهجي في القضايا والمسائل الخاصة بالعلم هو أنني أبدأ بشيء غامض محير وعرضه للشك ولا أستطيع التعبير عنه على نحو دقيق فأمضي أولاً في عملية تشبيهية بعملية رؤيتنا للشيء بالعين المجردة ثم نفحصه بعد ذلك من خلال مجهر فأجد أنه بتركيز الانتباه تظهر تقسيمات وتميزات لم يكن أي منها ظاهر من قبل تماماً... إن منهج التحليل عند راسل هو تلك العملية بها أما أن ترد المركبات الرمزية في تعبيرات أخرى الأكثر دقة".¹

يتوضح لنا أن منهجه في فلسفة العلم يجمع بين الغموض الأولي والدقة لاحقة فهو ينطلق من شيء غامض مثل أي قضية علمية أو فلسفية تكون مبهمة وغير واضحة وتشبه طريقة رؤيتنا للظواهر الطبيعية دون أن تفهم بنيتها الداخلية كما أن وظيفة الفلسفة أصبحت تحليلية ويعطي للتحليل هنا دوراً شبيهاً للمجهر فالكشف عن البكتيريا من خلاله لا يعني أن المجرد خلقه من العدم، كذلك الحال عند المنهج التحليلي فهو لا يضيف شيئاً جديداً من عنده، بل يقوم بتحويل المركبات المعقدة والغامضة إلى عناصر بسيطة وواضحة، ففي فلسفة العلم الفيلسوف لما يبني عوالم افتراضية من عقله بل يعمل كفاحص للواقع المعطى الأولي والذي يتكون من عناصر أولية فالعين المجردة تمثل الإدراك الحسي العام، بينما بواسطة التحليل اللغوي باستعانة رموز منطقية يكون وضعنا للواقع أكثر دقة. وبذلك فإن التحليل المنطقي هو شرط أساسي وضروري للمعرفة العلمية، وأي معارف لا يمكن إدراكها بالتحليل نضعها خارج نطاق المعرفة العلمية الدقيقة، وينطبق هذا على المفاهيم والتصورات الميتافيزيقية مثال ذلك أنه لا يمكننا إن نخضع مفهوم الله للتحليل المنطقي أو لا يمكننا التأكد من صحة القضية

¹ ولد الحدوشية بيكر: فلسفة العلم عند برتراند راسل، مجلة أبعاد، ع 05، مختبر الأبعاد القيمية، جامعة وهران، 2018، ص

القائلة: "النار مصير المجرمين". لأنه عندما نرجعها إلى عناصرها الأولية نجد أن النار تقع في دائرة الأحكام المعلقة.

يميز راسل بين مستويين في الإدراك، مستوى الحواس الذي يمنحنا معطيات أولية ومستوى العلم الذي يعيد ترتيب هذه المعطيات وتحليلها بواسطة المنطق والرياضيات أي أنه يتجاوز الإدراك الحسي المباشر لتصبح معرفة علمية بهدف فهم الظواهر والنظام الخفي الذي يتحكم فيها حتى ولو لم يكن هذا النظام يتوافق مع التصور الحسي المعتاد أي أن المعرفة العلمية عنده لا تتوقف عند حدود إدراكنا الحسي المباشر لها وإنما يكشف عن العلاقات المنطقية التي تربط بينها. كما بين أن للوقائع أهمية كبيرة في العلوم التجريبية ويؤكد أن الأداة الأساسية التي يمكننا من خلالها تجاوز معطيات الحس هي الرياضيات المقترنة بالجانب الرمزي، فالرياضيات تمنح العالم القدرة على بناء مركبات مجردة لا نجدها في اللغة الطبيعية ومن هنا تكمن لغة العلم من خلال استبدال التصور الحسي إلى نموذج رمزي صارم ثم اختبار هذا النموذج من خلال التجربة أي أن معرفة الحقيقة الطبيعية عند بارتتراند راسل تكون تحليلية تركيبية ولكن بالرغم من دقة المعرفة الرياضية والمنطقية إلا أنها لا تمثل الواقع نفسه أي هي لا تستطيع أن تصل إلى جوهر المادة أو حقيقتها المطلقة بأن تدركه علاقات خارجية بين الظواهر، أي أنها معرفة تحليلية وصفية تحررنا من وهم الوقوع في امتلاك الحقيقة المطلقة.¹

فمثلا لا يمكن للعلم أن يدرس مواضيع متعلقة بالدين أو الأخلاق وحجة راسل في ذلك أنه لا يمكن إخضاعها لمبدأ التحقق وقد تكون هذه النتيجة هي العجز العلمي على دراسة مثل هذه المسائل.

ومن خلال ما سبق نتبين لنا أن للمعرفة العلمية عند برتراند راسل حدود لا يمكنه تجاوزها ومهمتها هي تجاوز الحس والكشف عن العلاقات البنوية للواقع وما يحسب لبانتراند راسل هو تجاوزه للفلسفات السابقة المبنية على تصورات مثالية.

¹ ولد الحدوشية بشير: فلسفة العلم عند برتراند راسل، مرجع سابق، ص 157-158.

إن تاريخ الفلسفة في نظر راسل بمثابة سجل بمجموعة من الأحكام والتصورات التي أطلقها الفلاسفة التقليديون عن الوجود ككل، عن الكون في مجموعه، عن الحياة في معناها الشمولي. وبكل ما اشتملت عليه هذه الأحكام وتلك التصورات من نظرات دينية وجمالية وأخلاقية وطموحات لبلوغ الحقائق الماورائية الكلية أو المطلقة...لم تكن في الواقع الا تعبيراً عن أمزجة الفلاسفة ومخيلهم وتجاربهم الشخصية وتفكيرهم العامي.¹

إن التحليل العلمي التقليدي لا يعبر حسب راسل عن التقدم المعرفي والعلمي بل هو في حقيقته مجموعة من التصورات والأحكام الذاتية التي أطلقها الفلاسفة القدماء دون أساس دقيق وصارم، فهي تخط بين المعرفة المنطقية والمفاهيم الماورائية مثل المسائل المتعلقة بالدين والخيال والأخلاق فإن النتائج المستخدمة فيها لا تكن نتيجة منهج علمي بل مجرد انعكاس لتجارب شخصية من ثم يتم تعميمها على ما يقع الفيلسوف في مغالطة التعميم، مثل الحديث عن التجربة الدينية و أيضاً يقدم راسل تصوراً للفيلسوف الكلاسيكي على أنه لا يصور العالم كما هو بل يحاول إسقاط ذاتيته بحيث إن هذا النقد اللاذع يمهّد لظهور الفلسفة العلمية عنده من خلال التخلي عن الميتافيزيقيا الشاملة.

III. نقد الأخلاق والدين والتصوف:

اختلفت رؤية برتراند راسل للمواضيع التي عالجها وهو متأثر بالفلسفة المثالية البريطانية، ولكن بعد تأسيسه للفلسفة العلمية وهي فلسفة خالية من الشوائب والمعتقدات الخاطئة التقليدية، لذلك كانت اتجاهه للأخلاق والدين هو نفس اتجاهه نحو الميتافيزيقية وبما أنه من أنصار المنطق الوضعي فإنه ينادي دائماً بأن أي جملة لديها معنى ينبغي أن تكون قابلة للتحقق التجريبي أو أن تكون صادقة منطقياً. ومثل ما أخضع المفاهيم الأخلاقية فعندما نقول: "إن السرقة فعل غير أخلاقي فإننا لا نستطيع التحقق منه تجريبياً لذلك وضع الأحكام الأخلاقية في دائرة الانفعالات والمشاعر وأبعده عن العلوم واعتبرها أخلاق نسبية لا تخضع لقانون ثابت

¹ ولد الحدوشية بشير: فلسفة العلم عند برتراند راسل، مرجع سابق، ص 161.

بل تتحكم فيها عواطف الحب والكره والخوف، نعطي مثالا لنبيين موقف راسل هنا " عندما يسرق رجل ما رجلا آخر يكون الحكم الأخلاقي بالنسبة للرجل المسروق على أنه فعل خاطئ ينبغي معاقبته أما بالنسبة للرجل السارق فهو عكس ذلك تماما لأسباب "نفسية اجتماعية" تخصه و ومنه فان الأحكام المتعلقة بالأخلاق هي أحكام غير ثابتة تختلف باختلاف الحالات الشعورية للشخص، بحيث إن الحكم الصادر ضده هو تابع من القوانين الخاصة بالدولة التي يعيش فيها السارق.

يطرح راسل اشكالا يتعلق بالسلطة التي تفرض علينا هذه القوانين أو القواعد الأخلاقية ومنه يقسم السلطة إلى ثلاثة أنواع " تتمثل الأولى في سلطة الدولة الثابتة والثانية في سلطة الدين والثالثة في سلطة الضمير بحيث أن كل المجتمعات تعتمد على الأقل على واحدة منهم لكي تبين من خلالها الأفعال الخاطئة والأفعال الصحيحة، ويقدم مثالا تاريخيا في القرن الثالث عشر كان الناس يرون إن الاغتصاب ليس جريمة إلا إذا مس بشرف العائلة وكان الرهبان حينها يعتبرونه شيء عادي.¹ وهذا يبين أن الأحكام الأخلاقية تختلف باختلاف السلطة السائدة أي أنها ليست حقيقة ثابتة لذلك الأخلاق التي تأتينا من مصدر مقدس مثل الديانة هي أخلاق لا يجب أن نعتد عليها لأنها تتبع من مصدر خارجي عن عقولنا بحيث أنه عندما نسأل شخصا ما لماذا هذا الفعل خاطئ " يجيبنا بأن السلطة هي من تفرض هذا الحكم" وعندما نسأل لماذا السلطة أعطت هذا الحكم يقال لأنه خاطئ أو لأنه صحيح أي أننا نبقى في نفس الدائرة بدون تقديم براهين عقلية تثبت السبب وراء إطلاق حكم ما حول فعل أخلاقي معين.

وينتقد راسل الحجة التي تفرض علينا فعل أمر ما لأنه من مشيئة الإله ومن هنا فان هذا الحكم يكون خاصا بالفئة المؤمنة فقط أما الغير مؤمن فلا ينطبق عليه ذا الحكم أساسا ولا يمكن أن يبحث في ماهيته ومن هنا يوجه نقدا أيضا للأخلاقيين الدينيين يتمثل في طرح سؤال حول لماذا علينا أن نتبع مشيئة الله أولا وثانيا كيف يمكننا أن نعرف أن هذا الفعل هو

¹ برتراند راسل: المجتمع الانساني في الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص 106.

من مشيئة الله، ستكون الإجابات المقدمة بأن الله يعاقب كل من لا يتبعه إذا هنا يتحول هذا الحكم الأخلاقي إلى مجرد هروب من الخوف من العذاب¹ نتيجة التهديد من طرف رجال الدين هي في رأي أخلاق ناقصة لأنها تنبع من رضا داخلي.

ويذهب راسل لتفكيك فكرة الموضوعية الأخلاقية لأننا لا نستطيع أن نثبت أن هذا الفعل هو صحيح عن طريق اجتماع الناس أو عن طريق التجربة الواقعية فعند اليهود مثلاً يتم تحريم العمل يوم السبت وعند المسيحيين والمسلمين هو أمر عادي وتكون الإجابة هي أن هذه الأحكام هي من مشيئة الله لذلك الخلاف يبقى قائم لأننا لا نملك أي وسيلة علمية نستطيع من خلالها إثبات صحة هذا الفعل، ومن هنا يمكننا أن نفصل المجال الأخلاقي عن المجال العلمي وبيّن لن بأن الأخلاق النابعة من السلطة الدينية استطاعت أن تجعل المجتمعات متماسكة تماماً لفترات طويلة من خلال التهديد بالعذاب.² لذلك فإن خوف الإنسان من نتائج وعواقب الآخرة جعله يخضع لهذه السلطة أما مع تطور العلم فيرى بأنه ينبغي علينا أن نتجاوز هذه التصورات التقليدية نحو أخلاق يكون الدافع من ورائها هو دافع عقلاني.

إن الأخلاق التقليدية المبنية على المعتقدات الدينية والسلطة هي في نظر برتراند راسل عاجزة تماماً على تقديم أساس ثابت للصواب والخطأ لأنها ببساطة تستند في تبريرها إلى أحكام مغلقة مثل ما قدمها راسل في قوله " إن هذا حق لأن الله أمر به" ومن ثم فإنه حقيقة ثابتة أبدية لا يمكننا تغييرها أو دراستها دراسة علمية، غير أن التاريخ الإنساني يثبت عكس ذلك من خلال تغير الأحكام الأخلاقية بتغير السلطة الحاكمة ومنه فإنها تختلف أيضاً باختلاف المعتقدات فلا يمكننا أن نثبت على حكم واحد مثل الحقائق العلمية، ولكن راسل يعترف بالدور الحاسم الذي لعبه الدين في التماسك الاجتماعي.

¹ برتراند راسل، المصدر السابق، ص 107.

² برتراند راسل: المجتمع البشري في الأخلاق والسياسة، مصدر سابق، ص 108.

نظرا لتعريف الدين بالفضيلة وربطه بها جنبا إلى جنب مع أن أكثر رجال الدين ليسوا أكثرهم ذكاء فان التربية تعطي الشجاعة للأغبياء لمقاومة سلطة الرجال المتعلمين كما حدث مثلا حيث تم تعليم التطور غير القانوني، على حد ما أتذكر لا توجد كلمة واحدة في الإنجيل تنثي على أهمية العلم والذكاء ورغم ذلك يواصل رجال الدين على السلطة أكثر من البعض الآخر.¹

إن الشجاعة التي يمنحها الدين هي نوع من التعصب أو ما يسمى باليقين الدوغمائي على عكس العلم لأنه يعلمنا الحذر وقبول العديد من الاحتمالات والشك في المسلمات بدل التسليم بها، بينما الدين التقليدي يقدم لنا إجابات جاهزة ومريحة مما يعطي للشخص غير المتعلم يقين مطلق لمناقشة ورفض نظريات علمية معقدة مثال نظرية التطور، كما أن رفض المؤسسة الدينية لحقائق العلم إنما هو نابع من الخوف على فقدان السلطة لأنه ومن خلال العلم يمكننا أن نتحرر من السلطة الدينية والكشف عن العديد من المغالطات والتبعية العمياء ويقدم راسل أيضا ملاحظة حول الإنجيل في موضوع أنها ركزت على ذكر القيم مثل المحبة والفقر والطاعة ولكنها لم تذكر أهمية الشك والنقد والعم والذكاء باعتبارهم فضائل دينية أيضا مثلهم مثل المحبة والطاعة ومنه فان رجل الدين لا يحتاج إلى هذه الفضائل لكي يصل إلى السلطة لأنه سيخاطب عاطفة الجمهور فما يكفيه فقط امتلاك القدرة على التأثير العاطفي وامتلاك ملكة الوعظ الأخلاقي.

يتحدث راسل في سيرته الذاتية عن الصراع الذي عاشه في سن المراهقة بين العقلانية والعاطفة الدينية والتي كان مصدرها هو التأثير الاجتماعي يقول: "أتمنى أن أؤمن بالحياة الأبدية إذ أنه مما يشقيني كثيرا أن أفكر في الإنسان على أنه مجرد آلة منحت لتعاستها الوعي على أنه ليست هناك نظرية أخرى تتماشى مع القدرة الشاملة لله التي يقدم العلم مشاهد كافية

¹ Bertrad Russell: Educati ad the social order 1932, CH.VII, Religion education, p 110.

عنها وهكذا فليس هناك من سبيل إلا أن أكون ملحدا أو غير مؤمن بالخلود وعندما وجدت الأمر الأول مستحيلا آثرت الاختيار الثاني.¹

يكشف لنا رغبة راسل النفسية والعقلانية المنطقية في قضية إيمانه بالخلود ويبين أيضا التوتر العميق الذي عاشه بين البعد النفسي والبعد المنطقي في مسائل عدة في الدين ويمكننا القول أنه استبعد المفاهيم التي وجدها لا تصلح من الناحية المنطقية فهو يقر بأن فكرة فنائه تشقيه وتسبب معاناة وجودية ومن هنا يذهب القول أن الرغبة في الخلود والخوف من الشقاء تشكل دافعا أساسيا للالتجاء إلى الإيمان بمفاهيم ميتافيزيقية ويضع فصل حاسم بين ما يتمناه وما يمكن تبريره فالوقوف عند مجرد التمني لا يعطي لنا قيمة للقضية فعندما نقول : "إن الإنسان خالد في الجنة" لا يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب ومن خلال العودة إلى نظرية دالة القضية فإنها تعتبر فارغة لا يمكن التحقق منها تجريبيا وعليه فإن الموقف العقلاني الوحيد هو تعليق الحكم وما سماه لاحقا "اللاادارية"، فلا يمكننا أن نعتبر راسل ملحدا لأنه عندما نقول القضية التالية "الله موجود وهي قضية ميتافيزيقية لا يمكننا أن نتحقق منها لذلك لا يمكننا أن نحكم عليها بالصدق ولا بالكذب فالقول أن راسل ملحد يعني أنه حكم على هذه القضية بالكذب وبالتالي فإنه يخترق القاعدة المنطقية الأولى لذلك الخيار المناسب في هذه الحالة هو استبعاد هذه القضية بصفة عامة و اعتباره " لا أدري".

في مناظرة مع كريشنان ينتقد راسل الفكرة القائلة بأن التجربة الدينية التي يعيشها الإنسان هي دليل على وجود الله لأنها تجربة خاضعة لا يمكننا اعتبارها دليلا معرفيا عاما ومن خلال تطبيق مبدأ التحقق يميز بين نوعين من التجربة أولها التجربة العلمية مثل القول بأن السماء زرقاء نستطيع أن نتحقق منها حسيا وأن نضع لها صياغة منطقية تحتل الصدق، أما الثانية فتتمثل في التجربة الدينية مثل شعورنا الداخلي بوجود الله فهي غير قابلة للنقل لأنه لا يمكننا تحويلها إلى ذرات حسية مشتركة.² لأنها تجربة ذاتية خاصة لا يمكن أن نضعها في قضية

¹ برتراند راسل: سيرتي الذاتية، مصدر سابق، ص 17.

² برتراند راسل: لماذا لست مسيحيا، مصدر سابق، ص 221.

تحتل الصدق والكذب، يحاول كريشنان إنقاذ فكرة وجود الله من الناحية الأخلاقية لأن الإيمان له تأثير أخلاقي ايجابي على الإنسان. بالرغم من رؤية راسل على بطلان صحة دليله فعندما نقول الله خير $G =$ لكن G لا ترجع إلى ذرات حسية أي أنها بلا قيمة صدق ومنه فان راسل كما ذكرت سابقا يختزل الأخلاق والدين إلى رغبات وانفعالات وعواطف¹ ولكن رغم صرامته المنطقية إلا أنه لم يستطع أن يصل إلى الإثبات الديني من الناحية النفسية فهناك مفاهيم هي خارجة عن نطاق المنطق وبالرغم من أن منهجه دقيق وصارم لكن يبقى ضمن حدود معينة، وتكمن خطورة الدين في أنه يقدم لنا أجوبة عن الأسئلة التي نطرحها والتي لا يمكن للعلم في حد ذاته الإجابة عليها وهنا يتميز الاختلاف الجوهرى بين العلم والدين.

ينطلق راسل في نقد التصوف من خلال المنهج التحليلي المنطقي ويرفض بذلك اعتماد الكشف والذوق كمصدران للمعرفة وفي رأيه إن الصوفية تقوم أساسا على الإيمان بمعتقدات ذاتية لا تخضع لمعيار التحقق التجريبي والمنطقي فهو يعتبر أن التصوف لا يقدم إجابات لفهم المعاني الحقيقية للوجود وإنما يتوقف على مجرد التجارب الوجدانية بحيث تفتقر إلى الدقة المنطقية وتعمل على توفير السكينة النفسية والراحة والطمأنينة أكثر من كونها مجرد بحث عن الحقيقة، ويذهب إلى تطبيق منهجه على أصول التصوف فوجد بأنه يتقاطع مع فلسفة أفلاطون وبارميندس وهيراقليطس القائمة على فكرة الوحدة المطلقة وهي فكرة مرفوضة في نسقه المنطقي لأنها تتناقض مع مبدأ عدم التناقض، كما يرى أن التصوف يعتمد على الكشف المباشر والحدس بدل الاستدلال والبرهان ويجعل الوجدان طريقا للمعرفة بينما يقصر راسل المعرفة العلمية عنده على ما يدرك بالحواس، كما انتقد فكرة وحدة الوجود التي يقول بها الصوفية، ويرفض أيضا نظرة التصوف إلى الزمن باعتباره وهما ويرى إنكار الماضي والمستقبل لصالح الحاضر يتعارض مع منهجه القائم على التمييز المنطقي، ومع ذلك يقر راسل بأن

¹ برتراند راسل، المصدر نفسه، ص 223.

التجربة الصوفية تحقق فائدة نفسية وأخلاقية ويمنحنا شعورا بالسلام لكنه بالرغم من ذلك يبقى تجربة ذاتية لا يرقى إلى مرتبة المعرفة اليقينية التي يقدمها العلم والمنطق.¹

ينظر راسل إلى التصوف من خلال التجربة المنطقية نظرة نقدية والتي يؤسس منها المعرفة المبنية على التحقق التجريبي والمنطقي لذلك كما ذكرنا سابقا فإننا نجد راسل يرفض التجربة الدينية الذاتية خاصة لأنها تقتصر إلى وجود مرجع حسي مشترك وإلى صياغة رمزية منطقية صارمة ويرجعها إلى مجرد شعور وحالات نفسية مختلفة فلا يمكن أن نعتمد عليها كقانون عام.

إن التجربة الدينية رغم صدقها الذاتي لمن يمر بها تظل خارج نطاق العلم والمنهج المنطقي لأنها تقتصر إلى قابلية التحقق الحسي المشترك والقابلية للتكرار، فهناك شهادة علمية تخضع للاختبار والتجربة بحيث يمكن لأي باحث توفير نفس الشروط للوصول إلى نفس النتيجة أما الثاني فتتمثل في الشهادة الصوفية وهي شخصية لا يمكن نقلها أو اختبارها مع الآخرين، أن موقف المتصوفين يتلخص في أنهم يعيشون تجربة حقيقية لهم، لكنها تبقى في دائرة "الانفعال النفسي" لا "المعرفة اليقينية" فهي تمنح صاحبها يقينا شخصيا لكنها لا تمنح البشرية كلها معرفة قابلة للبرهان.²

¹ بوقليع علي العالم عبد الحميد: الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر، برتراند راسل نموذجا، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، جامعة 8ماي 1945 قالمة، الجزائر، مج 10، ع 3، 2022، ص 579-581.

² برتراند راسل: العلم والدين، ت: رمسيس عوض، د.ط، د.س، ص 170.

الخاتمة

خاتمة:

من خلال ما سبق يمكن اعتبار أن عرض ومناقشة منهج راسل قائم على مفهوم الذرية المنطقية من خلال التركيز على آلية الربط بين التجربة الحسية والمنطق، بداية استهل البحث تتبع المرجعيات الفكرية التي شكلت العقل التحليلي عنده لتبيان أن مشروعه لم يولد من فراغ بل هو نتاج تأثيرات سابقة أهمها الفلسفات المثالية، كذلك لأن التجربة المنطقية غير منفصلة عن الواقع المعاش ولا يمكن فهم موقف راسل إلا بعد استعراض التأثيرات السابقة عليه في تشكل أفكاره، ومن خلال عرض البحث نقول أن راسل لم يقف عند حدود المنهج التجريبي الكلاسيكي بل قدم محاولات بل قدم محاولات في نقله إلى شيء أكثر من الصرامة والدقة بإتباع خطوتين أساسيتين الأولى تحليلية والثانية تركيبية.

كما قد كشف تحليل البنية المنهجية للتحليل المنطقي أن الذرات التي كان يسعى لها راسل هي ذرات منطقية وليست ذرات فيزيائية أي الوصول إلى عناصر منفصلة لا يمكن اختزالها أكثر، ومن هنا وظف نظرية التماثل ليستطيع تأسيس علاقة تطابق بين بنية اللغة وبنية الواقع والمعنى الحقيقي لا يمكننا أن نكشفه إلا من خلال "المعرفة بالمعانية" أما الكليات والعلاقات المجردة فلا قيمة معرفية لها إلا إذا أمكن ردها لمعطيات أولية قابلة للتحقق.

إن راسل حاول أن يؤسس لفلسفة علمية جديدة تعتمد على منهج التحليل المنطقي للغة باعتبارها الأداة الوحيدة للتعبير عن الواقع فكل قضية مركبة يجب أن تعود إلى قضايا أولية بسيطة حتى نعرف هل هي صادقة أم كاذبة ومن هنا استطاع أن يضع حدا فاصلا بين المعرفة التي يمكن إثباتها بالتجربة وبين المعتقدات التي هي مجرد كلام بدون معنى واضح.

انتقل راسل لتطبيق منهجه في الدين وحاول في إثباته لمسألة "وجود الله" بأنه لا يمكن أن نعتبره قضية بسيطة لذلك عندما نقول "إن الله موجود" هي قضية مركبة نحللها ونفككها ونرجعها إلى عناصر بسيطة لتؤكد من صدقها من الناحية التجريبية فنجد أنها لا تملك دليل حسي مباشر يثبتها لذلك صنف المعتقدات الدينية ضمن الذاتية ولا يمكن أن تعتبر معرفة علمية.

في الأخلاق كان موقف راسل مشابها تماما لموقفه في الدين من خلال رفضه أن تكون في الأخلاق مبنية على مبادئ مطلقة لأن القيم الأخلاقية ماهي إلا تعبير عن مشاعر وعواطف الناس وتجاربهم في حياتهم اليومية بحيث نستطيع أن نتحدث عنها وأن نفهمها لكن لا يمكن أن نثبتها مثل ما نثبت القضايا الرياضية، وبهذا انتقل إلى وضع قطيعة مع الفلسفة المثالية التي كانت تخلط بين الدين والأخلاق والمعرفة.

أراد أن يبني فلسفة جديدة صارمة وواضحة فلسفة يمكنها أن تخدم العلم من خلال تخليصها من جميع الأمور الغيبية التي لا يمكن التحقق منها تجريبيا لذلك إن التجربة المنطقية عند راسل ليست مجرد نظرية فلسفية بل هي منهج خاص بتحليل الأفكار بغية الوصول للمعنى الحقيقي ومن خلاله نستطيع أن نميز في الواقع بين ما نقوله وبين ما يجب أن نتحدث عنه لأنه في الأساس مجرد لغو وكلام فارغ.

وفي الأخير النقد الموجه لمنهج راسل التحليل المنطقي هو أن الدين والأخلاق مرتبطان بعواطف الناس وقيمهم أي أنه لا يمكن التحقق منهم حسيا فهناك قضايا أخلاقية ودينية لها معنى في الحياة اليومية رغم استحالة إخضاعها للمنطق الصارم أو التجربة بذلك يظهر قصور المنطق عن تفسير كل أبعاد الوجود الإنساني، ورغم دقة النتائج التي يتوصل إليها المنطق إلا أنه يملك حدود معينة لا يمكن تجاوزها.

كما أن المهمة التطبيقية لمنهج راسل لم تخلُ من إشكاليات وانتقادات جادة، سواء من فلاسفة التيار التحليلي أنفسهم (مثل فيتغنشتاين المتأخر ووايتهيد)، أو من الفلاسفة القاريين (مثل هايدغر وغادامر)، أو حتى من المفكرين الدينيين والأخلاقيين. فكثيراً ما قيل إن راسل كان، دون أن يدري، يمارس نوعاً من الميتافيزيقا الخفية الخاصة به، انطلاقاً من افتراض أن اللغة يمكن أن تعكس واقعاً بسيطاً من الوقائع الذرية، وهو افتراض ميتافيزيقي بحد ذاته لم يستطع تبريره بشكل كافٍ. كما أن مطابقة "المعنى" مع "التحقق الحسي المباشر" قد تكون مفرطة في التضيق، وتستبعد الكثير من المجالات المشروعة للفكر الإنساني (كالأخلاق والفن

والدين والميتافيزيقا النقدية) بطريقة تعسفية. وأخيراً، اتهمه البعض بأنه في سعيه لتقويض الميتافيزيقا، قام باستبدال ميتافيزيقا بأخرى، فقط بدلاً من "ميتافيزيقا الماهيات" بميتافيزيقا "الذرات المنطقية" و"الوقائع البسيطة".

على الرغم من هذه الانتقادات، يظل راسل واحداً من أكثر فلاسفة القرن العشرين تأثيراً في إعادة تشكيل علاقة الفلسفة بالمنطق، ونزع الشرعية عن كثير من الأسئلة الميتافيزيقية التقليدية. لقد أثبت أن الفلسفة لا تحتاج إلى التخلي عن الدقة والعلمية لكي تكون عميقة، بل على العكس، العمق الحقيقي يكمن في القدرة على التحليل الدقيق، وليس في بناء أنساق غامضة يصعب تفكيكها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

باللغة العربية

1. راسل، برتراند. (1975). سيرتي الذاتية (ترجمة: عبد الله عبد الحافظ وآخرون). الطبعة الأولى، دار المعارف.
2. راسل، برتراند. (1977). فلسفة الذرة المنطقية (ترجمة: ماهر عبد القادر محمد). دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
3. راسل، برتراند. (1988). تاريخ الفلسفة الغربية (ترجمة: محمد فتحي الشنيطي). الإسكندرية.
4. راسل، برتراند. (2011). النظرة العلمية (ترجمة: عثمان نويّة). مكتبة نوبل المدى، الطبعة الأولى.
5. راسل، برتراند. (بدون تاريخ). أصول الرياضيات (ترجمة: محمد موسى أحمد، أحمد فؤاد الأهواني). الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.
6. راسل، برتراند. (بدون تاريخ). تحليل العمل (بدون بيانات نشر).
7. راسل، برتراند. (بدون تاريخ). العلم والدين (ترجمة: رمسيس عوض).
8. راسل، برتراند. (بدون تاريخ). ما وراء المعنى والحقيقة.
9. راسل، برتراند. (بدون تاريخ). معرفتنا بالعالم الخارجي (ترجمة: علي مولى).

باللغة الأجنبية

1. Russell, B. (1932). Education and the social order (Chapter VII: Religion, education.
2. Whitehead, A.. & Russell, B., Principia Mathematical, Vol I, 2^d ed. Reprint 1963, Cambridge University Press, United Kingdom, 93.

ثانياً: المراجع

1. إم، بوشنكي. (1973). الفلسفة المعاصرة في أوروبا (ترجمة: عزت لطفي). المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت.
2. جرالينج، إيه سي. (2015). برتراند راسل: مقدمة لصيرة جداً (ترجمة: إيمان الدين فرماوي). الطبعة الأولى، مؤسسة هنداوي، القاهرة.
3. خليل، شريف حسني. (بدون تاريخ). منهج التحليل الفلسفي بين هدم الميتافيزيقا وإرساء اللغة العلمية (بدون بيانات نشر).
4. خولي، طارق يماني. (2015). فلسفة العلم في القرن العشرين. مؤسسة هنداوي، القاهرة.
5. روبير بلاشي: المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، ت: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان.
6. سعيد بنتاجر: مدخل إلى علم المنطق، مراجعة الطيب بوعزة، مركز نهوض، ط1، 2024، بيروت، لبنان.
7. طريق الخولي يماني: فلسفة العلم في القرن العشرين، مؤسسة هنداوي، (ب) (ط)، القاهرة، 2012.

8. عوضه، كامل محمد محمد. (2004). برتراند راسل: فيلسوف الأخلاق والسياسة. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية.
9. غالب، مصطفى. (1997). برتراند راسل. دار مكتبة الهلال، بيروت.
10. محمود، زكي نجيب. (بدون تاريخ). برتراند راسل (بدون بيانات نشر).
11. ويلارد فان أورمان كواين طرائق المنطق: ترجمة: يوسف تيبس، دار المعنى، الطبعة الأولى، المملكة العربية السعودية، 2023.

ثالثاً: المجالات

باللغة العربية

1. أبو بكر، ولد الحدوشية. (2012). فلسفة العلم عند برتراند راسل. مجلة أبعاد، العدد 500، مختبر الأبعاد القيمية، جامعة وهران.
2. بلبولة، مصطفى. (2015). برتراند راسل واللغة الكاملة منطقياً. مجلة أبعاد، عدد خاص، جانفي.
3. بوثلجة، علي العالم عبد الحميد. (2022). الصلة بين التصوف والمنطق في الفكر الغربي المعاصر: برتراند راسل نموذجاً. مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، جامعة "ماي 1891"، المجلد 3، العدد 10، قالمة، الجزائر.
4. جعيداني، نصيرة. (2017). نظرية الصدق والمعنى في فلسفة برتراند راسل. مجلة دراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية (لسام الفلسفة)، جامعة الجزائر، المجلد 4، العدد 2، ديسمبر.

5. خليل، شريف حسني. (2021). الفلسفة التحليلية وبنية التحليل المنطقي "راسل نموذجاً". الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة بن بوعلي الشلف، المجلد 23، العدد 13.

6. سعيداني فروجة. (2017). الذرية المنطقية والتحليل عند برتراند راسل. مجلة أنفاس، يوليو <http://www.assafagro.//:sptth>.

7. مصطفى بلبوله: برتراند راسل واللغة الكاملة منطقياً، مجلة أبعاد عدد خاص، جانفي 2014.

باللغة الأجنبية

1. Ramedra ath. Bertrad Russell: Iteret ecyclopedia of philosophy. (.d). accessed: April. 3/2026. From: <https://iep.utm.rdu>.

خامساً: المعاجم

1. صليبا، جميل، (1973). المعجم الفلسفي، الجزء الأول. دار الكتاب اللبناني.

فهرس الموضوعات

مقدمة:-----أ

الفصل الأول

المرجعيات الفكرية لبرتراند راسل

I. مصادر فكر راسل:-----8

1. أثر البيئة العائلية في تكوين راسل:-----8

2. الدراسة الجامعية في كامبريدج:-----12

3. النزعة الأخلاقية والحرية الدينية:-----16

II. المرجعيات الفكرية المنطقية:-----21

1. الفلاسفة الذين تأثر بهم:-----21

2. في مجال المنطق:-----22

3. في مجال الرياضيات واللغة الرمزية:-----24

III. المرجعيات المنهجية والفكر المنطقي:-----27

1. نقد المثالية ونشأة التحليل:-----27

2. أثر المنهج الاستنباطي عند ليبنتز:-----33

3. أثر النزعة التجريبية:-----36

الفصل الثاني

الأبعاد المنهجية والصورية للممارسة المنطقية

I. طبيعة التجربة المنطقية:-----41

1. من المنهج التجريبي إلى التجريب المنطقي:-----41

2. الصدق والمعنى في نظرية التماثل:-----45

3. الكليات والعلاقات:-----49

II. ماهية منطق القضايا وصياغاته الرمزية:-----51

1. مفهوم منطق القضايا:-----51

2. الثوابت والروابط المنطقية:..... 53

III. البنية المنهجية للتحليل المنطقي..... 56

1. مفهوم التحليل:----- 56

2. أدوات التحليل المنطقي: 59

الفصل الثالث

الامتدادات التطبيقية للمنهج المنطقي "من خلال تقويض الميتافيزيقا"

I. استبعاد الميتافيزيقيا من اللغة..... 63

II. التأسيس للفلسفة العلمية..... 66

III. نقد الأخلاق والدين والتصوف..... 69

خاتمة:----- 77

ملخص الدراسة

Abstract

إن محاولة تأسيس المعرفة على أساس يقيني تشكل أهم المسائل التي عالجتها الفلسفة المعاصرة، ومن أبرز من تصدى لهذه الأزمة الفيلسوف برتراند راسل من خلال منهجه التحليل المنطقي الذي يقوم على الذرية المنطقية ومبدأ التحقق، فموضوع التجربة المنطقية يقوم على أساس رد كل قضية إلى ذرات حسية أولية يمكن التحقق منها تجريبيا وما عدا ذلك تعتبر قضايا فارغة من المعنى، ويهدف هذا الموضوع إلى التعريف أولا بأهم المرجعيات الفكرية لبرتراند راسل وكيف كان تأثيرها في ظهور فلسفته التحليلية انطلاقا من عائلته وصولا إلى الحياة الأكاديمية في كامبريدج. كما نهدف أيضا إلى إبراز العلاقة بين التجربة الحسية والمنطق الرمزي في الحكم على الواقع من خلال استخدام رموز ورابط وثوابت منطقية أي تجاوز اللغة الطبيعية التقليدية إلى لغة رمزية تتسم بالدقة والصرامة، وهو بذلك يقدم محاولة لإنقاذ الفلسفة من الغموض الميتافيزيقي وبنائها على أساس منطقي-حسي، أما الهدف الثالث فيتمثل في نقد المعارف الميتافيزيقية من خلال التجربة المنطقية من ثم تطبيقها على قضيتي الدين والأخلاق لبيان بطلانهما المعرفي، واعتمدنا في البحث على منهج التحليل النقدي من خلال الاطلاع على المصادر الأصلية لبرتراند راسل، ونطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى استطاع راسل أن يربط التجربة الحسية بالمنطق الرمزي في وصف بنية الواقع وصفا دقيقا؟ حيث توصلنا في البحث إلى أن منهج راسل المنطقي قد نجح إلى حد بعيد في استبعاد المفاهيم الميتافيزيقية عن المجال الفلسفي وربط فلسفته بالعلم، لكنه لم يستطع اختزال البعد الديني والأخلاقي للإنسان.

الكلمات المفتاحية: التجربة، التحليل المنطقي، الميتافيزيقا، قضية، المنطق.

Abstract:

The attempt to ground knowledge on a certain foundation constitutes one of the most prominent issues addressed by contemporary philosophy. Among the most notable figures to confront this crisis was the philosopher Bertrand Russell, through his method of logical analysis, which is predicated on logical atomism and the verification principle. The subject of logical empiricism is based on reducing every proposition to primary sensory atoms that can be verified empirically; anything else is considered a meaningless proposition.

This study aims, first, to introduce the most important intellectual influences on Bertrand Russell and how they contributed to the emergence of his analytic philosophy, starting from his family background up to his academic life at Cambridge. Secondly, it aims to highlight the relationship between sensory experience and symbolic logic in judging reality through the use of symbols, connectives, and logical constants—thereby transcending traditional natural language in favor of a symbolic language characterized by precision and rigor. In doing so, Russell offers an attempt to rescue philosophy from metaphysical ambiguity and rebuild it on a logical-empirical foundation. The third objective is to critique metaphysical knowledge through logical empiricism and subsequently apply it to the issues of religion and ethics to demonstrate their lack of cognitive validity.

In this research, we relied on the method of critical analysis by examining Russell's original sources, raising the following problematic: To what extent was Russell able to connect sensory experience with symbolic logic in describing the structure of reality with utmost precision? The research concludes that Russell's logical method succeeded to a large extent in eliminating metaphysical concepts from the philosophical domain and linking his philosophy to science; however, it was unable to reduce the religious and ethical dimensions of human existence.

Keywords: Experience, Logical Analysis, Metaphysics, Proposition, Logic.